الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الرثاء – لك الخلد عدي شتات-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي **التخصص: أدب حديث ومعاصر**

إعداد الطالبتين:
– دنيا لموي
– خديجة عزيز

إشراف الأستاذ:
د/علاوة كوسة

السنة الجامعية: 2017/2016

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أعاننا على إتمام هذه الرسالة والصلاة والسلام على سيد المرسلين واله وصحبه وأفضل الصلاة وأتم التسليم:

نتقدم بخالص الشكر والامتنان لأستاذنا الفاضل علاوة كوسة على حسن إشرافه وطيب متابعته لهدا العمل على أكمل وجه فجزاه الله خير الجزاء، وبارك في علمه وعمله وجعله في ميزان حسناته.

كما نشكر الأستاذ الفاضل أعضاء لجنة المناقشة ولكل من تقدم لنا بالنصح في سبيل تقويم العمل ومعالجة القصور وملء النواقص

بارك الله فيهم ونفعنا بجهودهم.

SbC 031 000 865

إلى الذين أناروا لي الشموع لأشق بها سراديب الظلام:

أمي أبي إخوتي أخواتي

إلى كل من ساعدني وأرشدني وعلى الخير عاهدني منه تعلمت أن الحياة إقدام في إقدام

إلى اللواتي قضيت معهن أجمل وأروه ذكرياتي

صديقاتي.

خـديجة

SBC 031 000 865

إليكما يانورا حياتي

أبي وأمي

إلى كل من تحلى الحياة برفقتهم

إخوتي

إلى من عشت معهم أحلى أيام الجامعة

صديقاتي

والشكر كله يعود لله جل جلاله

دنـيا

SbC 031 000 865

مقدمة

الفصل الأول

مفهوم الرثاء

مراتب الرثاء

مراتب الرثاء

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم فكان أفصح الناس لسانا، وأعذب الخلق بيانا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المبعوث رحمة للعالمين بلسان عربي مبين وبعد :

يعد الرثاء من أغراض الشعر العربي المهمة التي ترتكز على العاطفة وأكثرها قربا من النفس البشرية، وأشدها تأثيرا على المتلقي، لأنها تعبر عما يكنه القلب من مشاعر صادقة تمر على كل البشر، فهو المتنفس عما يشعر به الإنسان من ألم وحزن لفراق الأحبة لذا كلما كان المرثي قريبا كان الرثاء أصدق وأعمق .

والمتأمل في ديوان عدي شتات الموسوم بعنوان "لك الخلد" يلاحظ أن جل قصائده رثائية لأبيه ابن الشاطئ _رحمه الله _ هذا ما جعلنا نخصص له هذه الورقات البحثية المتواضعة تحت عنوان "الرثاء في ديوان لك الخلد".

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع لسببين رئيسيين هما : سبب شخصي وسبب موضوعي، فأما السبب الشخصي فراجع إلى معرفتنا بصاحب الديوان عدي شتات وتواصلنا الدائم معه والذي مد لنا يد العون في إنجاز هذه المذكرة، أما السبب الموضوعي فراجع إلى ما أملاه علينا واجب الدراسة ومن جهة أخرى اعتبار هذا الموضوع حقل خصب تتوق إليه النفس ويتشوق إلى الخوض في ميادينه العقل .

ولا نرى أننا أول من فتح هذا الباب فقد سبقنا باحثون في دراسة هذا الموضوع "الرثاء " خاصة الدراسات الأكاديمية نذكر منها الدراسة التي قام بها الطالب : البكاي أخذاري بعنوان: "قصيدة قذى بعينك " للخنساء دراسة أسلوبية.

واعتمدت دراستنا الحالية "الرثاء في ديوان لك الخلد" على منهج تاريخي أولا وذلك من خلال تتبعنا لمصطلح الرثاء من ناقد إلى آخر إضافة إلى المنهج النفسي القائم على أسس نفسية وجدانية باعتبار الديوان صورة تعكس الحالة الشعورية للشاعر عدي شتات.

بعدما تحدثنا عن المنهج المتبع في الدراسة يجدر بنا الإشارة إلى ما تناولناه في دراستنا هذه من خلال طرح عدة تساؤلات منها:

_ ما هو الرثاء ؟ وما هي مراتبه؟

_ وما هي الحقول الدلالية التي اعتمد عليها الشاعر في ديوانه ؟

وكيف كانت عاطفة الشاعر في التعبير عن لوعة فقده ؟

وكل هذه التساؤلات والإشكاليات سنحاول الإجابة عنها من خلال بحثنا هذا حيث اعتمدنا على خطة لدراسة هذا الموضوع افتتحناها بمقدمة كانت بمثابة بداية استهلالية للموضوع، يليها الفصل النظري والذي تطرقنا فيه إلى مبحثين المبحث الأول بعنوان في مفهوم الرثاء تطرقنا فيه إلى مفهوم الرثاء لغة واصطلاحا وتطرقنا أيضا إلى مراتبه أما المبحث الثاني بعنوان أنواع الرثاء وذكرنا فيه رثاء الأهل والأقارب ورثاء الدول والممالك ورثاء الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها من الأنواع .

أما فيما يخص الفصل التطبيقي فجاء بعنوان "تجليات الرثاء في الديوان "وهو تطبيق لما جاء في الفصل النظري مقسما إلى مبحثين، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى دراسة مختلف الحقول الدلالية الموجودة في الديوان أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى لوعة الفقد عند الشاعر، صورة المرثي إلى جانب الرثاء بصيغة المدح.

ثم أتممنا بحثنا هذا بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلنا إليها طيلة إنجازنا هذا البحث، مزودين دراستنا هذه بملحق يحمل السيرة الذاتية للمرثي إلى جانب قصيدة لك الخلد التي اخترناها من الديوان الذي حمل عنوانها .

وقد استعنا فيما ذكر بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: ديوان "لك الخلد" وكتاب فنون الأدب العربي_ الرثاء_ شوقي ضيف والعديد من المعاجم اللغوية منها: لسان العرب لابن منظور ... وغيرها من المصادر والمراجع.

ولا يمكن إنكار أنه قد واجهتنا العديد من الصعوبات التي تخطيناها بعون من الله ومساعدة أستاذنا من خلال ملاحظاته القيمة التي شكلت مفتاحا لكل ما استغلق في رحلة البحث.

وتهدف دراستنا إلى خلق جو علمي متناسب يتيح لنا فرصة التعرف عن قرب على منهجية إعداد البحوث الأكاديمية التي من الممكن أن تتحول إلى دراسات مهمة أو كتب قيمة لا على المستوى الفردي وحسب بل على المستوى الجماعي إضافة إلى محاولة التعرف على الإسهامات التي قدمها عدي شتات في مجال الرثاء خاصة، وعلى القصيدة العربية عامة .

ونمل من خلال هذا البحث أن نقدم شيئا جديدا في مضمار تخصصنا يضاف إلى حقل الدراسات السابقة ويمهد الطريق للآخرين، والله ولي التوفيق

1_ مفهوم الرثاء :

1_1 التعريف اللغوي:

ورد المفهوم اللغوي للرثاء في الكثير من المعاجم اللغوية حيث تعددت طرق شرحه وتفسيره من معجم لآخر، فجاء في لسان العرب لابن منظور تعريف الرثاء كالآتي: "ورثى فلان فلانا يرثيه رثيا ومرثية إذا بكاه بعد موته. قال فإذا مدحه بعد موته قيل رثاه يرثيه ترثية .ورثيت الميت رثيا و رثاء و مرثاة ومرثية ورثيته :مدحته بعد الموت وبكيته ،ورثوت الميت أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه أو كذلك إذا نظمت فيه شعرا... وامرأة رثاءة ورثاية :كثيرة الرثاء لبعلها أو لغيره ممن يكرم عندها ،تنوح نياحه، ورثيت له ،رحمته ورثى له أي رق له "[1]

أما الخليل ابن أحمد الفراهيدي في كتابه العين لم يذهب بعيدا في مفهومه للرثاء عن مفهوم ابن منظور فتكلم عن المرثي، كونه محور الرثاء فهو الذي يتوجع ويفجع فقال :"ولا يرثي فلان لفلان أي لا يتوجع إذا وقع فيه مكروه...والمترثي المتوجع المفجوع "[2]

كما تطرق أصحاب معجم الوسيط في تعريفهم للرثاء باعتباره الوسيلة والأداة التي يلجأ إليها المرثي لإيصال مدى حزنه وتفجعه، فيكون ذلك بقصيدة أو كلمة ،وقاموا بوصف المرأة وهي في حالة الرثاء وتحدثوا عن حكم الرثاء في الحديث الشريف فقالوا : "رثى الميت ورثيا ،ورثاية ،ومرثاتا، ومرثية، بكاه بعد موته وعدد محاسنه، ويقال رثاه بقصيدة، ورثاه بكلمة ...(رثى) رثيا، ورثى أصابته الرثية،(رثاه) مدحه بعد موته. ترثاه : رثاه :وفي الحديث : أنه نهى عن الترثي : ندب الميت، الرثاية : النواحة "[3]

وقال بطرس البستاني: "رثى الحديث حفظه أو ذكره(...) ورثاه أيضا نظم فيه شعرا (...)ورثا عنه حديثا رثاية وحفظه ورثى الرجل يرثى كان به رثية "[4]

وننهي تعريفنا اللغوي بعرض ما جاء في مختار الصحاح الذي يقول: " ...رثيت الميت من باب رمي ومرثية أيضا ورثوته من باب عدا اذا بكيته وعددت محاسنه وكذا إذا

---

[1] جمال الدين أبي الفضل محمد ابن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري :لسان العرب،مجلد3،دار صادر ،بيروت ،لبنان ،ط1، 1997،ص35

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي :معجم العين، ج2،تح/عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ط1، 2003، ص97

[3] مجموعة من الباحثين: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص329.

[4] بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (دط)،1987، ص323.

نظمت فيه شعرا ،ورثى له رق من الباب الأول بمصدريه وربما قالو رثاث الميت بالهمزة على وخلاف الأصل" [1]

تعددت المفهومات _إذن _في المعاجم العربية السابقة منها :أن الرثاء هو البكاء على الميت من بعد موته ومدحه، أو الرثاء ما يرثى به الميت من شعر في القصيدة أو الكلمة، وإن وصل الرثاء إلى حد الندب على الميت قد تم النهي عنه في الحديث .

1_2 التعريف الاصطلاحي:

يعد الرثاء من الفنون الشعرية التي لها وزن وقيمة في الشعر العربي، وهذا بما يحمل من صدق وعاطفة ،وعمق إحساس بالآخر، الذي رحل عن الدنيا وابتعد ،فالرثاء هو تصور حقيقي يربط بين ثنائية الموت والحياة، والانتقال من عمق الفاجعة والأسى إلى الصبر ومواصلة الحياة ،ولعل كل شاعر فقد عزيزا على قلبه، رثاه بإحدى قصائده يقول الجاحظ :"إن الرثاء يدل على وفاء الشاعر لمن رحل عن الدنيا ،فهو بهذا يعلم مكارم الأخلاق، إضافة الى ما يذكر من محاسن الراحل، وبهذا يكون أبعد أثر بسبب صدق العاطفة "[2]

ارتبط الرثاء _كما جاء في التعريفات اللغوية _بالبكاء والندب والنواح وصفات عدة، نلمس في صاحبه رقة العاطفة، ورهف الإحساس، وهذه الملامح نجدها بكثرة عند المرأة أكثر من الرجل لأنه يمتاز بقوة الصبر والجلد .

ويشير بعض النقاد القدامى إلى العلاقة بين الرثاء والمديح ويقول ابن سلام الجمحي: "إن التأبين مدح الميت والثناء عليه، والمدح للحي "[3]

وتابعه قدامى ابن جعفر في ربط الثناء بالمديح فقال :"ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك مثل :كان وتولى، وقضى نحبه، وما شابه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح في حياته "[4]

---

[1] محمد ابن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي ،بيروت، لبنان، ط1، 1979 ص233

[2] عيسى إبراهيم السعدي: نظرية أبي عثمان ابن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار المعتز، عمان، الأردن ،ط1، 2010، ص230

[3] محمد ابن سلام الجمحي :طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية،(دط)،2012، ص118.

[4] قدامى ابن جعفر: نقد الشعر ،مطبعة الجوانب ،قسنطينة، 1302هـ، ص113

كما نجد ابن رشيق القيرواني قد نهج المنهج نفسه في تلك الأحكام، فقال :"وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل أن المقصود به ميت مثل كان أو عدمنا به كيت وكيت وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت "[1]

فالحالة النفسية التي يكون عليها الراثي ساعة الإبداع الشعري لا تستوي مع الحالة التي يكون عليها المادح، فالراثي وهو يمدح الفقيد إنما يرثيه بعاطفة حزينة وموجعة، والمدح إنما يمدح بعاطفة الإعجاب بالقيم الأصيلة التي يتوسلها بالممدوح، ونفسه تشع سرورا .

أما يحيى الجبوري فيصف الرثاء بأنه أصدق الشعر إذ يقول : "إنه تعبير مباشر قلما تشوبه الصنعة والتكلف "[2] وذلك لارتباطه بظاهرة الموت، وهذه الظاهرة من الظواهر الإنسانية التي شغلت بال الأدباء والفلاسفة والحكماء على حد سواء، منذ أقدم العصور، ويقوم على تعداد مناقب الميت وصفاته الحميدة

يقول عيسى إبراهيم السعدي: " العديد من الشعراء كبيرهم وصغيرهم طرق هذا الباب، هذا اللون الحزين من الشعر المواساة والكآبة، ولم يقتصر هذا الغرض (...) على الرجال والنساء فقط، بل تعداهم الى النساء أيضا، وربما كانت النساء أحقابه، لما فطرن عليه من رفق ولين وعاطفة الحزن والبكاء والتأثر وإن امتاز الرجال بالجلد والصبر وتحمل الشدائد والصبر على فقد البعض من أهلهم وذويهم وأحبابهم" [3]

ولما كانت أغراض الشعر كثيرة، وفنونه متنوعة ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين:" تركت المراثي والفخر، لأنهما داخلان في المديح، وذلك أن الفخر مدحك نفسك(...) والمرثية مديح الميت "[4]

ويميل الحصري إلى الرثاء الممزوج بالمدح "حيث يرى أن أحسن المراثي ليست تلك التي تتعلق بالمرثي (...) وإنما تلك يشوبها مدح لصفاته، وحديث عن أمجاده

---

[1] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجبل، ط5، 1401هـ، 1981م، ص147

[2] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي وخصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، ط8، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص343.

[3] عيسى إبراهيم السعدي :جماليات الشعر العربي على مر العصور، دار المعتز، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص230.

[4] الحسن ابن عبد الدين ابن سهل العسكري :كتاب الصناعتين، تح/علي محمد البجاوي ومحد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (دط)، ص131،

واستعراض لشيمه وخصاله (...) ويرى أن شعر الخنساء في رثاء أخيها صخر خير ما يمثل نظريته "[1]

وفي الختام يمكننا القول أن الرثاء قائم على أساس اللوعة والحزن فهو حديث القلب الجريح وتعبير العين الحزينة الصادرة من تجربة صادقة لفقد عزيز على النفس .

2_ مراتب الرثاء:

عرف شعراء العرب الرثاء منذ عصر ما قبل الإسلام إلى يومنا هذا وكان من أغراضه الرئيسية، ومن النادر أن نجد شاعرا لم ينظم فيه ،لأنه صورة صادقة لعمق العلاقات الاجتماعية ومرآة تعكس عليها العاطفة اتجاه المرثي، حيث تعددت مفاهيمه وتراوحت بين الرثاء، الندب، النواح، العزاء، التأبين وظل الشعراء يحومون حول هذه المعاني باعتبارها مفهوم واحد غير أن شوقي ضيف قسم الرثاء إلى ثلاثة مراتب على أساس قوة العاطفة وفتورها نتوقف عند كل مرتبة :

2_1 الندب :

ورد مصطلح الندب في العديد من المعاجم اللغوية نتوقف عند تعريف الجوهري في قاموسه الصحاح يقول: " ندبت الميت، أي بكى عليه وعدد محاسنه"[2]

فسبيل الندب التفجع، التوجع والنواح والصراخ وإظهار الجزع وتصوير المأساة والموقف الحزين .

يقول شوقي ضيف :"الندب هو النواح على الميت بالعبارات المشجية، والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية، وتذيب العيون الجامدة، إذ يولول النائحون والباكون يصيحون، ويعولون مسرفين في النحيب والنشيج وسكب الدموع"[3].

فالندب أغزر شعر الرثاء وأصدقه عند الحسب والشعور، ولذلك كانت المراثي أشعر الأشعار لأن أصحابها يقولونها وقلوبهم تحترق.

---

[1] محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب، اتحاد كتب العرب، دمشق، (دط)،2000،ص165

[2] الجوهري: قاموس الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م، مادة الندب، ص223

[3] شوقي ضيف : فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، الرثاء، دار المعارف، ط4، 1979م، ص12

عرف العرب هذا اللون المأتمي حيث يجتمع النساء للصياح والعويل على الميت وكان النساء يؤلفن الأشعار التي يندبن بها موتاهم، وينوحون على نقر الدفوف، ويقرعون على صدورهن ويلطمن ويخمشن وجوههن ويحلقن رؤوسهن حتى يتحول هذا النواح إلى شيء مفزع يتحول إلى مآتم تدور مع الأعوام والسنين لعل أقدم صور الندب والنواح في شعرنا العربي هي ندب الأهل والأقارب والنواح عليهم.

وللمرأة الجاهلية في هذا المجال القسط الأكبر والنصيب الأوفر إذا كانت تندب أباها أو أخاها وتنوح على من يتوفى منهم وعلى من يموت قطعا بالرماح والسيوف، وأشهر من بكت واستبكت في الجاهلية الخنساء عند مقتل أخيها معاوية في بعض غاراته فعقدت عليه مأتما ضخما من النواح وآثار ذلك اخوها صخرا، فثأر له ولكنه جرح جرحا عميقا أدى إلى وفاته فعادت إلى نواحها بأشد ما صنعت على أخيها معاوية فأشعل صدرها حزنا لا يهدأ ولا يخبوا وظلت ذكرى صخر عالقة بنفسها وفيه تقول:

قذى بعينكِ امْ بالعينِ عوَّارُ امْ ذرَّفتْ اذْخلتْ منْ اهلهَا الدَّارُ[1]

كأنّ عيني لذكراهُ إذا خَطَرَتْ فيضٌ يسيلُ علَى الخدَّينِ مدرارُ

تبكي خناسٌ فما تنفكُّ مَا عمرتْ لها علَيْهِ رَنينٌ وهيَ مقتار

تبكي خناسٌ علَى صخرٍ وحقَّ لهَا اذْ رابهَا الدَّهرُ انَّ الدَّهرَ ضرَّارُ

وظل الندب والنواح على هذا الوجه حتى مجيئ الإسلام إذ أباحه الرسول صلى الله عليه وسلم محرما ما كان يقترن به من خمش للوجوه بالجلود وحلق الرؤوس وإنما أباحه لما فيه من تنفيس لأهل الميت وشفاء لما أصابهم فيه، ويروي الرواة أنه لما بكت نساء المدينة على قتلى غزوة أحد من ذويهن قال الرسول صلى الله عليه وسلم :"لكن حمزة ابن عبد المطلب لا يبكيه أحد"[2]

وهكذا كان لظهور الإسلام تأثيرا على الفكر الجاهلي متخلصا من مفردات الجاهلية في المرثية وحلت محلها مفردات الصبر والإيمان.

2_2 التأبين:

[1] البكاي أخضاري: قصيدة قذى بعينك للخنساء، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص22.

[2] شوقي ضيف : فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، الرثاء، ص12

يعد التأبين ثاني مراتب الرثاء بعد النواح وهو أدنى منه يأتي بعد صحوة الراثي من صدمته الأولى يقول ابن منظور: " أبن الرجل تأبينا وأبنه أي مدحه بعد موته وأبكاه، ويقال: الثناء على الرجل في الموت والحياة، وقيل التأبين إذا ذكرته بعد موته "[1]

كان من عادة العرب في الجاهلية أن يقفوا على قبر الميت فيذكروا مناقبه ويعددوا فضائله ويشهروا محامده، وشاع ذلك عنهم وأصبح من سننهم وعاداتهم ونجده على ألسنة الرجال والنساء فهم جميعا لا يكتفون بتصوير شعورهم الحزين، بل يضيفون إليه إشادة بالميت ومناقبه، فهم لا يبكونه من أجل رابطة الدم التي تربطهم، بل يبكون فيه نموذج المروءة، الكرم، الشجاعة والوفاء وحماية الجار والأنفة والحزم والسماحة والفصاحة والشرف وكل ما يزين الرجل في رأيهم من صفات جميلة يقول شوقي ضيف: "هو أدنى من مرحلة الندب، ويأتي بعد صحوة الراثي من صدمته الأولى، فينطلق بعيدا عن الموت والفاجعة والخوف، لكنه لا يزال يحمل شيئا من التوتر بسبب صدمة الموت، فيعود إلى نفسه يسترجع صفات المرثي وخصاله، ساردا أمجاده معبرا عن حزن الجماعة لهذا الرثاء "[2]

كما اقتصر التأبين أيضا على أصحاب الدولة الإسلامية والقائمين على نشر تعاليمها واحترام سننها في الجزيرة العربية وخارجها، وأول خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق الذي حمل لواء الدعوة من بعده وتناول مصابيحها فأضاء بها شرقي الجزيرة وغربها، فلم شتات العرب المبعثرة وفيه يقول حسان ابن ثابت مؤبنا :

إذا تذكرتَ شجواً من أخي ثقةٍ ... فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فعلا[3]

خَيرَ البَرِيَّةِ أَتقاها وَأَعدَلَها ... إِلّا النَبِيَّ وَأَوفاها بِما حَمَلا

وَالثانِيَ الصادِقَ المَحمودَ مَشهَدُهُ ... وَأَوَّلَ الناسِ مِنهُم صَدَّقَ الرُسُلا

وَكانَ حِبَّ رَسولِ اللَهِ قَد عَلِموا ... مِنَ البَرِيَّةِ لَم يَعدِل بِهِ رَجُلا

وهكذا كان التأبين تصويرا تاما لمدى الخسارة والمصيبة في الفقيد وأقوى مثال على هذا التأبين الخنساء لأخويها صخر ومعاوية.

2_3 العزاء:

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ،مادة ابن ،ج4ص13.

[2] شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، ص112

[3] المرجع نفسه، ص56.

الحياة لا يمكن أن تتوقف على موت أحد ومهما يكن من عظم الفقد فإن على الإنسان أن يمضي في حياته لأن الموت قدر مرسوم وما عليه سوى أن يلتمس ما يخفف ويعزيه عن آلامه وأحزانه وفي هذا الصدد يقول ابن منظور:" عزيت فلانا أعزية تعزية أي آسيته وضربت له الأسى وأمرته بالعزاء فتعزى تعزيا أي تصبر تصبرا "[1]

يقتصر مصطلح العزاء على كارثة الموت وأن يرضى من فقد عزيزا بالقدر فتلك سنة الكون لا مفر منها وأن يتقبلوا الحياة كما هي بأنها دار زوال، وانتقال وليست دار بقاء ولا شيء يدوم ولابد أن نتحمل المكروه ونتعزى ونصبر على ما نزل بنا تسليما لله والرضى بقضائه والصبر على امتحانه احتسابا للأجر واقتداء بقوله سبحانه وتعالى " وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ "[2]

اقتصر العزاء على الصبر في كارثة الموت وأن يرضى من فقد عزيزا لما جاءه به القدر فهذه سنة الكون، نولد ونمضي في الحياة سعداء وأشقياء ثم نموت وهي الغاية التي ننتهي إليها ولا مفر منها حيث يقول شوقي ضيف :"العزاء هو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين إذ نرى الشاعر ينفذ من حادثة الموت الفردية التي بصددها للتفكير إلى معان فلسفية عميقة تعج بالحكمة يحملها الشاعر إلى نفسه وإلى الآخرين" [3]

الإنسان أمام الموت لا حيلة له لرد صيحة الموت سوى ذرف الدموع على فراق أخيه الإنسان وكان شاعر الجاهلية القديم يفكر في هذا كله فكان يحزن ويبكي ويعبر عن ذلك تعبيرا قويا في شعره فالعزاء بلفظه ومعناه ورد في شعر الخنساء إذ تقول :"

ولَوْلا كَثْرَةُ الباكينَ حَوْلي على اخوانهمْ لقتلتُ نفسي
وما يَبكونَ مثلَ أخي ولكِنْ اعزّي النَّفسَ عنهُ بالتَّأسي[4]

ولما عمت أضواء الإسلام في النفوس أخذت تظهر معه نزعة جديدة في العزاء تقوم على التسليم لله والرضى بقضائه و قدره .

3_ أنواع الرثاء:

---

[1] ابن منظور: لسان العرب ،مادة العزا ،مجلد 15 ص52.

[2] القران الكريم: سورة البقرة، الآية 155.

[3] شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، الرثاء ص6

[4] الخنساء بنت تماضر الديوان، تح، عبدالسلام الحوفي، دار التب العلمية، لبنان ط1، 2000 ص 39

3_1 رثاء الأهل والأقارب:

هو الرثاء الذي يدخل معظمه في باب الندب والنواح، لفقد عزيز، وقد ارتبطت العاطفة قوة وضعفا بمنزلة الميت وصلة القرابة به، فالعاطفة في رثاء الأبناء أنتجت دائما شعر الندب والنواح، بينما أنتجت شعر التأبين والعزاء في رثاء الأقارب البعيدين والأصدقاء ،حيث بكى الشعراء أقاربهم، وناحوا عليهم أحيانا ورثوهم بكل ما تحمله الكلمات من معاني الحزن، هذا الرثاء الذي ما وجدوا سبيلا للتعبير عن الألم الذي يعتصر قلوبهم إلا به، ففيه يعبر الشاعر عن ما يختلج صدره من أحزان وآلام، وسوف نستعرض أولا رثاء الأب ونتعرف على المعاني والأساليب المختلفة التي تجسد لنا معاني الحزن والأسى على فراق الأحبة.

3_1_1 رثاء الأب:

ومن صور الرثاء البعيدة في العصر الجاهلي ما يقوله امرؤ القيس في رثاء أبيه وهي تحمل في طياتها التسليم بالفناء فهو لم يبكيه أو يستبكي الناس عليه، لأن مكانته تجله عن الدموع، بل فاخر به وبمكانه فقال[1]:

ألم أنض المطي بكلِّ خرق أمَقَ الطُّولِ، لمَّاعِ السَّرابِ
وأركبُ في اللهام المجر حتى أنالَ مآكِلَ القُحَمِ الرِّغابِ
وقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ، حَتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب
أبعد الحارث الملكِ ابن عمرو وَبَعْدَ الخيرِ حُجْرٍ، ذي القِبابِ
أرجي من صروفِ الدهر ليناً ولم تغفل عن الصم الهضاب

إلى جانب امرؤ القيس نجد أيضا دختنوس في رثاء أبيها لقيط بن زرارة سيد بن تميم، لحظة تفجعها لاغتياله، فمزقتها الحسرات حيث تصورت محياه الوسيم معفرا بالثرى، دفينا تحت الصخور الصلاب يقول[2] :

أَلا يا لَها الويلاتُ ويلة من بكى بِضرب بني عبسٍ لقيطاً وقد قضى
لَقد ضربّوا وَجهاً عليه مهابةٌ وَما تحفلُ الصمّ الجنادلُ من ثوى
فَلَو أنّكم كُنتم غَداة لقيتمُ لَقيطاً ضَربتم بِالأسنّة والقنا

3_1_2 رثاء الأبناء:

[1] شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ،دار المعارف، مصر، 1961، ص259 .
[2] غازي طليمات :الأدب الجاهلي ،دار الفكر، بيروت، لبنان، 2002، ص245،

لعل لرثاء الأبناء منزلة كبيرة في الرثاء العربي لأن رثاء الابن يمتاز بحرقة عالية ويبقى ذا سمة خاصة عند الأمهات لأن الأم تبكي في ابنها أمومتها فتعاودها صورة الحنان والبراءة في ذلك البكاء ونتوقف عند نماذج منها:

رثاء لأبي ذؤيب الهذلي وهو شاعر أدرك الجاهلية والإسلام واشترك في الغزو والفتوح ومناسبة قصيدته أن بنيه ماتوا في عام واحد وقيل كانوا خمسة وقيل سبعة وكانوا أشداءا حيث يقول:

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ[1]

قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِبًا مُنذُ ابتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

أَم ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضجَعًا إِلّا أَقَضَّ عَلَيكَ ذاكَ المَضجَعُ

إلى أن أيضا :

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ

كما نجد ابن الرومي قد اشتهر في رثاء ابنه محمد وكان واسطة العقد فسكب فيه روحه ولوعته حتى عدت من عيون الشعر يقول في مطلع القصيدة:

بكاؤكُما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أودى نظيركمُا عندي[2]

بُنَيَّ الذي أهدتهُ كفَّاي للثَّرَى فيا عزَّةَ المهدى ويا حسرة المهدي

ألا قاتل اللَّهُ المنايا ورميها من القومِ حَبّات القلوب على عَمدِ

توخَّى حِمَامُ الموت أوسطَ صبيتي فلله كيف اختار واسطةَ العقدِ

3_1_3 رثاء الأخ:

لا تختلف منزلة الأخ عن منزلة الإبن في حالة الموت والإحساس بشدة الفقد والألم والحسرة، الأخ سند لأخيه، وعون له في السراء والضراء، فكيف وقد فارقه بعدما سارا في درب واحد، فالخنساء لا تخرج عن الإطار العام لشعر الرثاء في العصر الجاهلي خاصة ما تعلق برثاء الأخ لتقول:

ألا يا صَخْرُ إنْ أبكَيتَ عَيني لقَدْ أضْحَكْتَني دَهْراً طَويلا[1]

---

[1] محمد إبراهيم نصر، من عيون المراثي، ط1، دار الرشيد_ص79

[2] مرجع نفسه، ص14.

بَكَيْتُكَ في نِساءٍ مُعْوِلاتٍ و كنتُ احقَّ منْ ابدى العويلا
دَفَعْتُ بكَ الجَليلَ وأنتَ حَيٌّ فمَنْ ذا يَدْفَعُ الخَطْبَ الجَليلا
إذا قَبُحَ البُكاءُ على قَتيلٍ رأيْتُ بُكاءَكَ الحَسَنَ الجَميلا

وتزداد وطئة الخنساء بهذا الفقد ويتداخل في احساسها بالغربة والضياع وتحس بالهوان بعد أن فقدت الوالي والحامي في أخويها فتراها تعاتب الدهر الذي أثقل همها قائلة :

يا عَينِ ما لَكِ لا تَبكينَ تَسكابا؟ اِذْ رابَ دهرٌ وكانَ الدّهرُ ريَّاباَ[2]
فابْكي أخاكِ لأيْتامٍ وأرْمَلَةٍ وابكي اخاكِ اذا جاورتِ اجناباَ

صورت ما تلاقيه من ألم على فقد أخويها، وصورت ذلها وهوانها بسبب ذلك الفقد، فتجربة الخنساء تجربة إنسانية مأساوية مؤلمة بعد رحيل أخويها صخر ومعاوية .

3_1_4 رثاء الزوجة:

حظي رثاء الزوجة بنصيب وافر من المراثي، حيث نظم فيها المرثيات المفعمة بالحزن والأسى الدقيق ولم يجدوا سبيلا للتعبير عما يكايد أنفسهم من أسى كيف لا وهي نجمة تلمع في أفق الذاكرة يهتز لرحيلها الوجدان، ويتوقف عند نموذج نزار قباني في رثاء زوجته بلقيس يقول: [3]

بلقيسُ..
مُشْتَاقُونَ .. مُشْتَاقُونَ .. مُشْتَاقُونَ..
والبيتُ الصغيرُ..
يُسائِلُ عن أميرته المعطَّرةِ الذُيُولْ
نُصْغِي إلى الأخبار .. والأخبارُ غامضةٌ
ولا تروي فُضُولْ..
بلقيسُ..
مذبوحونَ حتى العَظْم ..

---

[1] الخنساء بنت تماضر :الديوان، ص179.

[2] المصدر نفسه: ص187.

[3] محمد علي التهانوني : كشاف اصطلاحات الفنون ،تح، لطفي عبد البديع، مطبعة السعادة، 1972،ص50.

ومن أبرز الذين رثوا زوجاتهم في العصر الحديث محمود سامي البارودي، الذي رثى زوجته بقصيدة تعد أطول قصيدة رثيت امرأة في الأدب فقد بلغت أبياتها سبعة وستون بيتا وهي لا تمتاز بطولها عن غيرها فحسب بل تمتاز بتعبيرها عن أحزان البارودي ونفسه المحطمة أصدق تعبير فقد كان منفيا في جزيرة سرنديب، يوم ورد إليه نعيها فكانت زوجته زهرة حديقته التي كان يفوح شذاها في روضته فيئن لفراقها ويبكي وينوح لأنه كان يظن أنها ستكون أول من يلقاه في وطنه بعد طول غيبته وأول من يضمه إلى صدره ويدفئه بحرارة شوقه فكانت الفجيعة قد اشتعلت في قلبه يقول:[1]

لا لوعتى تدعُ الفؤادَ، ولا يدى تقوَى على ردِّ الحبيبِ الغادى
يا دَهْرُ، فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيْلَةٍ ؟ كانَتْ خَلاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِها أفلا رحِمتَ منَ الأسى أولادى ؟

3_2 رثاء الشعراء أنفسهم:

إذا كان الشعراء قد ندبوا أهاليهم وذويهم فأولى لهم أن يندبوا أنفسهم حين تحين ساعة الموت، ولا يجدون لهم ملجأ ولا عاصما وكثيرا ندبوا أنفسهم وبكوها منذ العصر الجاهلي ويقال أن أول من بكى على نفسه وذكر الموت على لسانه هو يزيد بن خداق قال:

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ من وَاقِ أَمْ هَل لهُ من حِمَامِ الموتِ من رَاقِ[2]
قد رَجَّلُونِيَ وَما رُجِّلْتُ من شَعَثٍ وأَلْبَسُونِي ثِيَاباً غَيْرَ أَخْلاَقِ
وأَرْسَلُوا فِتيةً من خَيْرِهِمْ حَسَباً لِيُسْنِدُوا في ضريحِ التُّرْبِ أَطْبَاقِي

كما نجد في العصر العباسي الشعراء يكثرون من نوح أنفسهم وخاصة أنهم يذكرون ذنوبهم ويخافون ربهم ويشفقون من لقائه فينطلقون وجلين معلنين التوبة والاستغفار مما قدمت أيديهم ونجد أبي نواس يقول :[3]

يا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ
إِن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ
ما لي إِلَيكَ وَسيلَةٌ إِلّا الرَجا وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنّي مُسلِمُ

---

[1] شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن الغنائي ،الرثاء، ص28.

[2] مرجع نفسه ، ص30

[3] مرجع نفسه ،ص32.

ونقف عند نموذج لأبو القاسم الشابي الذي عصف به مرض القلب وهو في ريعان شبابه، فعاش يبكي نفسه ويندبها ندبا، حارا في ديوان حافل بألوان الشجى والأسى يصف فيه كيف أرصد المرض أبواب والنوافذ عليه فلم يعد يرى إلا هاويته وحفرته ويسمى هذا المصير "الصباح الجديد" وفيه يقول :

أُسْكُتي يا جرَاحْ وأسكني يا شجونْ[1]
ماتَ عهد النُّواحْ وَزَمانُ الجُنُونْ
وَأَطَلَّ الصَّبَاحْ مِنْ وراءِ القُرُونْ
الودَاعَ! الودَاعَ! يا جبالَ الهمومْ
يا ضَبابَ الأسى ! يا فِجَاجَ الجحيمْ
قد جرى زوْرَقِي في الخضمِّ العظيمْ...
ونشرتُ الشراعْ... فالوَداعَ! الوَداعْ

3_3 رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم :

ألحق النبي بجوار ربه الذي اصطفاه وتسرب النبأ الفادح وأظلمت آفاق الدنيا وعم الناس الحزن، فضجت أجواء المدينة بالنشيج والبكاء وارتفعت أصوات الشعراء في أرجاء الأرض معبرة عن مشاعر أصحابها الحزينة ومفصحة عن لوعة قلوبهم، وقد وصلت إلينا صور كثيرة من هذه الأشعار الباكية الحزينة نذكر منها قول حسان بن ثابت:[2]

ما بَالُ عَينِكَ لا تَنَامُ كأنّمَا كُحِلَتْ مآقِيها بكُحْلِ الأرْمَدِ
جزعاً على المهديّ، أصبحَ ثاوياً، يا خيرَ من وطىءَ الحصى لا تبعدِ
بأبي وأمي منْ شهدتُ وفاتهُ في يومِ الاثنينِ النبيُّ المهتدي
أأُقِيمُ بَعْدَكَ بالمَدينَةِ بَيْنَهُمْ؟ يا لَيْتَني صُبّحْتُ سَمَّ الأسْوَدِ

أما كعب بن مالك فقد قل رثاءه للنبي كأن لسانه عقد بالفاجعة لكنه رثي الرسول المبشر النذير بقصيدة يقول في بعض أبياتها:[3]

يا عَيْني فَابكي بدَمْعٍ ذَرَى لِخَيْرِ البَرِيَّةِ والمُصْطَفَى

---

[1] شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن الغنائي ،الرثاء ص34.

[2] حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق عبد الرحمان البرقوقي، ط1، القاهرة، دار الأندلس 1980م ص127 .

[3] كعب بن مالك، الديوان، تحقيق سامي مكي العاني، ط2، بغداد، المعارف، 1945ص255.

وبكّي الرّسول! وحقّ البكاء عليه، لدى الحرب عند اللّقا!
على سَيِّدٍ ماجدٍ جَحْفَلٍ وَخَيْرِ الأَنَامِ وخَيْرِ اللُّها
وكانَ بَشِيراً لَنَا مُنْذِراً وَنُوراً لَنَا ضَوْؤُهُ قَدْ أَضَا
فأَنْقَذَنا اللهُ في نُورِهِ وَنَجَّى بِرَحْمَتِهِ مِنْ لَظَى

وقصيدة السيدة فاطمة الزهراء فهي تتفجر عاطفة ولوعة، فكل بيت فيها يقطر دمعا بل دما فالحزن يجري في قلبها وفؤادها فتقول في أبيات من مرثية للرسول صلى الله عليه وسلم:[1]

مسُ النهارِ وأظلم العصرانِ اِغبرّ آفاقُ السماءِ وكوّرت
فَالأرضُ مِن بعدِ النبيّ كئيبة سفاً عليه كثيرةُ الرجفانِ
فَلَيبكهِ شرقُ البلادِ وغربُها وَلَيَبكهِ مضرٌ وكلّ يَماني
وَلَيبكهِ الطور المعظّمُ جوّهُ وَالبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ
يا خاتم الرّسلِ المبارك ضوؤه صلّى عليكَ منزّل الفرقانِ

3_4 رثاء السلاطين والوزراء والأمراء:

وهو الرثاء الذي يدخل معظمه في باب التأبين حيث بكى شعراء هذا العصر سلاطينهم ووزرائهم وقادتهم وأمرائهم، ونظموا فيهم القصائد المشجية معبرين بذلك عن معاني الحزن والأسى لفقدهم واصفيهم الفجوة التي تركها هؤلاء السلاطين والقادة معبرين بأشعارهم عن علو مكانتهم كيف لا وهم من سطروا المجد في صفحات تاريخ الدول ... لذا فقد مضى هؤلاء السلاطين والقادة والأمراء نجوما لامعة في أفق الذاكرة بفقدهم فانتظمت القصائد المشجية حزنا عليهم، تنشر على أمجادهم على مر العصور والأزمان وتبعت مناقبهم وصفاتهم مثالا سائرا بين الناس وللوقوف على مآثر هؤلاء القادة نذكر بداية رثاء السلاطين

3_4_1 رثاء السلاطين:

نقف عند نموذج الشيخ شمس الدين الزركشي للملك الظاهر برقوق الذي توفي 801هـ حيث رثاه في قصيدة طويلة ذكر فيها مكانته الغالية في أعماق النفس واصفا شدة حزنه وتأسفه على فقد مثل هذا السلطان إذ يقول :

[1] ابن رشيق، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ص172.

في باطني للملك الظاهري حزن سرى مني في ساير[1]
فبعدة يا عين لا تبخلي بدمع كالطيب الماطر
وأنت يا سيدي لا تتصل طول المدا ما عشت عن تناظري
لا ترضى إلا عليه البكا فابكوا الدمع هامل هامر

يخاطب الشاعر شمس الدين الزركشي عينه الذي ذرفت الدموع ألا تبخل في سكب الدموع بعد فقد السلطان برقوق متمنيا ألا تغيب صورته عن ناظره أبد الدهر ثم يوجه حديثه بأن يتخدوا البكاء عليه سنة كلما ذكروه ثم يصور لوعة الحزن وكيف أصبح العرش حزينا يتيما بعد السلطان يقول:

اتخدوا الندب لكم سنة عليه من جاد ومن حاضر [2]
فإنه كان لكم أمر في نفسي كالعين والناظر
يا كبدي الحرة ويا مهجتي ذوبا عليه دهري الداهر
بعده الملك يتيما غدا تبكي عليه أعين الناظر

3_4_2 رثاء الوزراء:

ضمن بعض الشعراء من مرثيته تأريخا، لوفاة المرثي ومن ذلك ما نجده عند عويس العالية الذي يقول في رثائه للمقر البدر بن فضل الله كاتب السر الشريف وأخيه حمزة اللذين وافتهم المنية سنة 797هـ يقول:

قضى البدر بين فضل الله نحبا ومات أخوه حمزة بعد شهر[3]
فلا تعجب لذي الأجلين يوما فحمزة مات حقا بعد بدر

ولما توفي الزيني أبو بكر بن مزهر كاتب السر بالديار المصرية سنة 893 للهجرة رثاه محمد بن إياس الحنفي جاعلا النسوة يبكين دما عليه ويعفرن وجوههن بالتراب، وجعل أقلام الدواة تلبس السواد وتقسم أن تتوقف عن الكتابة حزنا عليه يقول

صارت أراملة كمثل أراملي تبكي بأعيننا دما وتترب[4]
وكذا الدواة تسودت أقلامها حزنا عليه وأقسمت لا تكتب

---

[1] محمد بن أحمد بن إياس الحنيفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1 ص534

[2] محمد بن احمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ص535.

[3] مرجع نفسه 472.

[4] مرجع نفسه ص255.

أما محمد بن أحمد بن إياس الحنفي فيظن أن الدهر سيسالم السلطان وأنه سيستقصي معاني المدح في الثناء عليه ونشر محاسنه ولكن الموت يحول بينهما، ويتحول مدحه رثاءا حيث يتوفى المقر الناهري محمد ولد السلطان في سنة 910هجرية وله من العمر ثلاث عشرة سنة، كان متولي شادية الشراب خاناه _يقول :

لهفي على من كان ظني أنني أفني المدائح في الثناء قوافيا [1]

فمضى وأثلني فها أنا ناظم تلك المعاني الغرفية مراثيا

3_4_3 رثاء الأمراء:

لم يختلف رثاء الأمراء عن رثاء الوزراء والسلاطين، فكما رثى الشعراء سلاطينهم ووزراءهم رثوا كذلك أمراءهم بأحاسيس صادقة، وعبروا عن حزنهم وما يعانون من هذا المصاب الجلل، من ذلك مثلا ما نجد ه في رثاء الشهاب المنصوري لأمير مكة الشريف بركات الذي توفى سنة 859ه الذي يقول فيه :

فالواقضى بركات قلت فحق لي أن أتبع العبرات بالزفرات

يا ترحة لأحياء عند فراقه وبقربه يا فرحة الأموات

والكعبة الغراء قالت قد غدا ليس الحداد عليه من عاداتي

فانظر إلى آثاره في مكة فرحا بها لم تخل من بركات

لقد عبر الشاعر عن موقفه وقت سماعه لخبر وفاة الأمير بركات، واصفا حال الأحياء وقت فراقه من حزن وألم وتحسر، كما وصف هناء وسعادة الأموات لقربه منهم إذ أصبح جارا لهم عند وفاته، ثم ينقلنا إلى صورة جميلة يصف بها موقف الكعبة التي لا تعد الحداد عليه من طباعها، ذلك لأن الناظر في مكة يجد آثار بركاته في رحابها .

أما محمد بن أحمد بن إياس المصري فيصف حاله حين سماعه نبأ وفاة الأمير _تانبيك فرا_ توفي سنة 905 هجرية _ ويبين وقع النبأ على الناس لفقد هذا الأمير الذي كان أميرا جليلا رئيسا حشما بين الجانب كثير الخير، والذي بات الحزن عليه متجددا بين الناس كمثل الأمواج المتلاطمة، ثم يشفق على قلبه من تجرع خبر وفاة الأمير ويبين كيف جرت دموعه كالدماء حزنا عليه، ثم يسترسل في ذكر صفات الأمير من صرامة وشجاعة، وقوته في التصدي إلى الأعداء وما إلى ذلك، مستنكرا أن يكون الأعداء قد قتلوه فوق ظهر

[1] محمد بن احمد بن إياس الحنفي، بائع الزهور في وقائع الدهور ص78.

جواده واصفا مدى الافتراء والظلم الذي ارتكبه قاتله، ثم في نهاية مرثيته يدعو بن إياس لهذا الأمير ولجميع أمراء عصره بأن يجعل الله عز وجل قبورهم روضة من رياض الجنة، وأن يتغمدهم برحمته ويجعل مستقرهم دار الجنان، إذ يقول :

من طالع التاريخ يوما أو قرا تروي ظروف الدهر عن تنبيك فرا
شاع الحديث بخنقه فلأجل ذا خنقت بجبرتها الورى مستعيرا
يا لهو قلبي قد تجرع فقده وتجددت أحزانه بين الورى
قد غادر الأمراء جور زمانهم واجعل برحمتك الجنان لهم قرا

ارتبط رثاء الأمراء والقادة بالانتصارات والنجاحات التي حققوها وبقيت ذكراهم خالدة

3_5 رثاء المدن:

عرف الأدب العربي رثاء المدن غرضا أدبيا في شعره ونثره، فهو لون من التعبير يعكس طبيعة التقلبات السياسية التي تجتاح عصور الحكم في مراحل مختلفة حيث بكى الشعراء الدول الأدبية ورثوا ما ذهب من مناقبها وبطولاتها.

إنما يصادفنا من شعر رثاء المدن ما قاله الشعراء في رثاء مدينة بغداد بعد سقوطها في أيدي التتار سنة 656هـ وتخريبا والعبث بأرواح سكانها ما قاله تقي الدين إسماعيل بن أبي اليسر الذي يقول :

لسائل الدمع عن بغداد أخبار فما وقوفك والأحباب قد ساروا[1]
يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي شرفت به المعالم قد عفاه إقفار
أضحى لعطف البلى في ربعه أثر وللدموع على الآثار آثار
يا نار قلبي من نار لحرب وغى شبت عليه ووافي الربع إعصار
علا الصليب على أعلى منابرها وقام بالأمر من يحويه زنار
وكم حريم سبته الترك غاصبة وكان من دون ذاك الستر أستار

فرثاء المدن ليس رثاءا محددا يرتبط بشخص أو عائلة أو قبيلة بل إنه مصيبة تحل بالأمة ولها وقعها الأليم ولا سيما كانت النكبة بالديار المقدسة والمحبوبة إلى القلوب مثل رثاء أبي البقاء الرندى للأندلس يقول:

[1] جمال الدين بن ثغرى بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج5،ص 199_200

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية وأين شاطبة أم أين جيانُ[1]
وأين قرطبةُ دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شأنُ
وأين حمصُ وما تحويه من نزهٍ ونهرها العذب فياض وملآنُ
قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركانُ
تبكي الحنفيةُ البيضاءُ من أسفٍ كما بكى لفراقِ الإلف هيمانُ
حتى المحاريب تبكي وهي جامدةٌ حتى المنابرُ تبكي وهي عيدانُ

وأعظم نموذج في ندب البلدان بكاء الشعراء على فلسطين الشهيدة التي سالت دماء أبنائها في ساحاتها وشرد اليهود البقية الباقية منهم في أطراف العالم الغربي وعلى المشارف والحدود ولا تزال المأساة قائمة في العالم الإسلامي كله يلبس السواد من أجلها ويعلن الحداد على ما أصابها، ونجد الشعراء العرب في مختلف بلدانهم يبكون الوطن الضائع ويفجعون عليه وعلى سبيل الذكر نجد زكي المحاسني يهتف في دمشق يقول:

ما هزمنا لك نموت ونفنى ونبكي الحياة ان نحن عشنا [2]
نحن قوم مانام فينا على الضي م أبي ولا صلى الدهر هنا
كفكف الشعر عن مراثي فلسطين فشعر الدماء أبقى وأغنى
عدنا المرتجي كما رمت آت بانتقام سيغسل العار عنا

[1] المقري محمد عبد الغني حسن التلمساني :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب بيروت، دار صادر،1988، ص ج2/ص 287.

[2] شوقي ضيف: فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، الرثاء، ص52

الفصل الثاني

توطئة

قراءة في العنوان

الحقول الدلالية

العاطفة

الرثاء بصفة المدح

صفات المرثي

توطئة :

كان الرثاء غرضا إنسانيا يعد من أهم الفنون وأبرز الموضوعات في الشعر العربي عامة والعرب الجاهلي خاصة، وذلك لارتباطه بظاهرة الموت، وهذا ما استق عليه مفهوم الرثاء في وصفه بكاء الميت والتحسر والتفجع عليه وذكر محاسنه والتغني بأمجاده وخصاله الحميدة ومن المعلوم أن الأمة العربية احتفظت عبر التاريخ الطويل بتراث ضخم من المراثي ومعظم هذه المراثي التي وصلتنا تمتاز بالصدق اللوعة وحرارة العاطفة لاسيما التي تقوم على رابطة الرحم التي تجمع بين الراثي والمرثي.

أما في العصر الحديث فمن النادر أن نجد شاعرا قد أفرد في رثائه للمرثي بديوان مستقل كامل يقوم على ذكر صفاته الشكلية منها والمعنوية، مما يعني بروز ظاهرة أدبية جديدة تستدعي الوقوف والتأمل والدراسة ومن تلك الدواوين اخترنا ديوان الموسوم تحت عنوان "لك الخلد" الشاعر عدي شتات الذي يعد موضوع الدراسة التطبيقية باعتباره ديوان يشمل على عدة قصائد ولكل قصيدة عنوان يميزها عن غيرها، وهده العناوين قائمة على أساس المناسبة التي استدعت كتابة هذا الديوان ولهذا سنتطرق إلى العديد من القضايا التي حفل بها الديوان أهمها:

_ قراءة في العنوان .

_ أهم الحقول الدلالية في الديوان.

_صورة المرثي.

_ لوعة الفقد .

وغيرها من الأساليب التي اعتمد عليها الشاعر في بناء شعره والتي وضعت القارئ فيي صور حية عن الوجع العميق الذي يعيشه الشاعر في نفسه .

1_ قراءة في العنوان:

إن الغلاف أول شيء في أي عمل أدبي مطبوع فهو" يعتبر أول العتبات الضرورية للولوج إلى أعماق النص قصد استنكاه مصفوفته وأبعاده الفنية والإيديولوجية والجمالية كونه أول ما يواجه القارئ وهو عامل مساعد في قراءة وفهم الرواية على مستوى الدلالة والبناء والتشكيل والقصدية "[1]

كما يعد البطاقة التعريفية لما تحمله أوراق الديوان في كونه أول ما تقع عليه العين عند إلقاء أول نظرة عليه، ولهذا فمن البديهي قبل العبور إلى النصوص الشعرية التي بين دفات الغلاف يجب أن تتوقف على بعض مكونات الغلاف الخارجي خاصة العنوان باعتباره المفتاح الذي يسهل على القارئ فهم محتوى الديوان الذي بين يديه، كما يعد أيضا اختصارا لمضمون النص ويعطي فكرة أولية وصورة مصغرة لما تحمله أوراق الديوان .

فالشاعر عدي شتات استعمل اللون الأخضر في غلاف الديوان فهو يجسد دلالات الحياة الخصبة واليانعة المتجددة والنضارة والجود والبعث والروعة والأناقة للشيء وانبساط النفس وارتياحها من مشهد ومنظر اللون الأخضر فكان اللون الذي اختاره هو أخضر الصنوبر والسنديان وأخضر الأرز أي لون الأشجار الخضراء التي لا تتعرى دائمة الاخضرار في جميع الفصول وربط هذا اللون بحياة أبيه الميت فهو يمنحه حياة خضراء حياة الخلد فهو دائم الحضور رغم الغياب حاله حال الأشجار الخضراء القوية الضخمة المعمرة الدائمة الخضرة، فعدي شتات بهذا اللون يهب لابن الشاطئ حياة جديدة دائمة البقاء بقاء الطبيعة الحية .

اللون الأخضر في ديوان لك الخلد شكل لوحة فنية استوحاها الشاعر من خلال تتبعه لحياة أبيه وتخليدا لهذا الشاعر الفلسطيني المناضل فيوجه له القول: "لك الخلد" ونحن نعلم أن الخلد للموتى الذين تركوا بصماتهم في الحياة الدنيا فهو لا يرثي ميتا بل يهب الحياة من جديد لميت، فابن الشاطئ رحمه الله في عيد ميلاد عدي شتات الحادي والثلاثين أهداه هدية نفيسة تمثلت في قصيدة "لك الغد" فهو يقول لعدي لك الغد وهو ما يزال حيا ومن هذا المنطلق تبلورت فكرة العنوان والذي جاء ردا على هذه القصيد

[1] جميل حمداوي : السيميوطيقا والعنوان، مجلة عالم الفكر، مجلد 25،عدد23، الكويت، مارس 1997،ص51.

2_ الحقول الدلالية:

سنحاول في هذا المبحث تطبيق نظرية الحقول الدلالية على المدونة الشعرية التي بين أيدينا ليس تطبيقا كليا بل سيكون انتقائيا، وسنحاول قبل أن نبدأ استفادتنا من نظرية الحقول الدلالية، التوقف عند تعريف الحقل الدلالي، بحيث نجد أحمد مختار عمر يعرفه بقوله :" الحقل الدلالي هو مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالتها، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها ولكي يفهم معنى كلمة يجب أن نفهم مجموعة من الكلمات المتصلة بها دلاليا، فمعنى الكلمة هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي "[1]

سيطرت على الخطاب عدة مفردات أدت دورا بارزا في تشكيل الموضوع العام وقد جاءت هذه المفردات من حقول مختلفة لخدمة الحقل العام وهو الحقل الرثائي الذي يعد الموضوع الرئيسي للخطاب، ومن أبرز الحقول الدلالية في المرثية ما يلي:

2_1 حقل الحزن والألم:

من خلال قراءتنا للديوان نجده مفعم بالألفاظ التي تصور حزنه وعظم فجيعته بالمرثي ونقف على بعض الكلمات (الحزن، احترقت، شاخ الصبر، الآهات، شردتني، أبعدني، سئمت، الدموع، حاصرت، مواجعي، الجروح، القلق، تلهب، الشك، صمت، السكون، نعش، تنهدت، تحطمت، الرحيل، اليأس، غارق، العويل، مقصوص، مشوها، تمزقت، الأسى، المنفى، الغضب، الحرب، الموت، بكاء، جرحني، البعاد، السواد، ضاقت، السأم، السعال، وجعي، تتخبط، القهر، الألم، ينفجر، بركانا، غربتك، الوداع، آهات، الخداع، الغدر، ممزقا، الصداع، الأسى بركان، الجراح، الدم، الصمت، المحتضر، الطاعون، انفطر، الرماد، الآهات، مواجعي، يأسرني، هواجس، سكاكين، الهم، الغيبة، الحيرة، السم، ضاقت، حطمت، تلدغ، ينزف، قبر، عار، ذل .....)

هذه المصطلحات تكررت في العديد من القصائد بحيث نجد أن معانيها تتقارب مع إيحاءاتها الدلالية فلفظة الحزن جامعة لهذه الدوال وكان تركيز الشاعر على الكلمات ذات

[1] أحمد مختار عمر : علم الدلالة، دار العروبة، أنقرة ،ط1، 1982 ص79.

الإيحاءات المؤلمة التي تضع القارئ في صورة حية عن الحزن والألم الذي يعيشه ونتمس هذا في أكثر من قصيدة ففي قوله المقتبس من مدخل الديوان يقول:[1]

هل عدْتَ..؟! لا أدري
فكلُّ خرائطي احترقَتْ
على بوَّابَةِ الذِّكرى
وشاخ الصبرُ يا عمري
وشاختْ لهفةُ الحبقِ!!..
أبتي!!..
نَطَرْتُكَ خلف باب الدار وانفعَلَتْ
عيون الشوقِ ..

تعد هذه الأبيات الشعرية بمثابة خطاب موجه للمرثي الذي غاب وترك وراءه آلام وأوجاع ومعاناة نفسية جعلت من الشاعر في صراع نفسي دفع به إلى محاورته والتعبير عن ما يشعر به بالرغم من درايته بأنه انفصال محتوم لا مفر منه ولا مهرب وما عليه سوى التسليم لقضاء الله وقدره والموت قدر مرسوم للإنسان، ويتواصل هذا الحزن والألم في العديد من القصائد إلى درجة أن الشاعر يتمنى بأنه هو نفسه سيلحق بالمرثي وذلك في قصيدة بعنوان الحب ميعاد أكيد يقول: [2]

أَ (أبا عَدِيٍّ)!!..
إنَّ موعدَنا قريبٌ فانتَظِرْني في (سُدودْ؟
أجلِ انتظرْني يا أصيلُ
فلنْ تؤخِّرَني الرُّعود
سأعودُ يا "ابن الشاطئِ" اشتاقَتْ عنادِلَها
النُّجودْ..!!

[1] عدي شتات: لك الخلد، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ، 2015م، ص7 .

[2] الديوان، ص39 .

الشاعر يعيش إحباط عاطفي بسبب غياب أبيه الذي يبادله الحب ووصل الحال به إلى حالة نفسية جعلت منه يتمنى اللحاق والوصول به في قوله : موعدنا قريب وهي وسيلة لجأ إليها عدي لمواجهة هزلته النفسية واللذة المرة التي ذاقها .

ويستمر الشاعر في التعبير عن شوقه وحنينه إلى والده في أغلب قصائد الديوان والتي تحمل في طياتها معاني الحرقة والأسى خاصة قصيدة لا ...لن أقول! والتي نظمت يوم مواراته الثرى رحمه الله يقول:[1]

لا!!..

لن أقول لكَ الوَداعْ...!

فغَداً ستقتُلُ حلمَكَ الأموِيَّ

آهات الجياعْ

إلى أن يقول:

وأذوب فيكَ بلا انْقِطاعْ

وألوب في عب الصِّراعْ

يا سيِّدي..

لا..!! لن أقول لكَ الوداعْ..!!

الشاعر في إحباط نفسي يصف الحالة التي وري فيها الثرى ويخاطب أباه بقوله لن أقول الوداع وهذا لعدم تقبل فكرة موته ويصف أيضا عاطفته المعذبة فيعلو في رثائه ويشتد في وصف بلائه ويجعل يوم وفاته أول أيام الحزن ليدخل بذلك عالم الصراع من الأحزان والدموع.

كما كانت ألفاظه خير تعبير عن حالته المفعمة بالألم والحيرة ونواه غارقا في أجواء الحزن، وهو صادق في تعبيره عنها وتغمر قصائده رقة عاطفية وشعور حزين في رثائه معبرا عن ذلك بكلمات مأساوية تجيش بصدره ففي غمرة هذا الحزن واللوعة التي يعيشها يقول في قصيدته "نتف الروح" يقول: "[2]

جئت لأنثر روحي

---

[1] المصدر نفسه، ص42،40

[2] الديوان، ص62.

جئْتُ لأنفخ في كير الصمت لعلّي
ألقاك على أجفان الشوق..
وجئت أحدِّث صفحة وهمٍ
علّ دموعي تعتقني

يختار الشاعر صراخات وأهات لبث الحزن والشكوى فهو بذلك يريد أن يداوي جروحه لعله يجد بذلك متنفسا خاصة عندما انصدم بمرض والدته والأمر الذي زاد من حدة حالته النفسية خوفا من فقدان ثاني يخاطبها بعاطفة الأمومة في قصيدة "براكين العذاب يقول :[1]

وكيفَ حبيبةَ قلبي تستحْلينَ السفرَ الأبديّ
بدوني...؟!
كيف...؟ وصدْري الآن يتوق لشعلة نارْ...

2_2 حقل الشوق والحنين:

ففي هذا الحقل يبوح الشاعر بأسرار قلبه من حنين وشوق وحسرة على فقدان الغالي ومدى شوقه وحنينه لأيام الأنس التي عاشها برفقته فلجأ إلى التعبير عن ما يجيش في صدره باختيار ألفاظ تربط بموضوع هذا الحقل وتتلاءم مع عاطفته ونتوقف عند مجموعة من الألفاظ منها:(الذكرى، لهفة، الحبق، انتظرتك، عيون الشوق، ذكريات، قلبه، الحضن ذهولي، المشتاق، الشوق، الوجدان، الخيال، يتوهج، الحلم، الشوق، الشغف، اللقاء، النفس موعدنا قريب، لفح اشتياق، فار الشوق، يحترق الشتاء، اشتعل البكاء، من جمر، شوق اللقاء، طال الغياب، لهفة حيفا، نار الزغبة، شرايين اللهفة، شعلة نار، قبلة نور، حضن، اللوعة، أحضان، الشوق، حنان، يحرقني، اللهفة، الحنين، ...)

فالشاعر عدي شتات يسوق لشعره أرق الألفاظ تعبيرا على إفطار قلبه لشعوره بالوحدة فكتب لأبيه ابن الشاطئ ما يختلج وجدانه نحوه فهو لا يتلذذ بالحياة بعده وهذا الموت أفجعه بحيث تستوقفنا بعض صور الشوق في العديد من القصائد منها قوله في قصيدة أبتاه مزقني الحنين إذ يقول :[2]

أَبَتَـاهُ..! مَزَّقَنـي الحَنِينُ فَحُلْوُهُ مُــرٌّ.. وَيَـأْكُـلُ مُــرُّهُ أَحْشَـائِـي

[1] المصدر نفسه، ص59.
[2] الديوان ص80.

الشاعر يناجي أبتاه بعاطفة نابعة من وجدان عرف مرارة الفراق وظل عميقا في نفسه بحيث يصفه بقوله مر يأكل أحشائي فهذه المرارة ولدت عن الشدة والقسوة والمعاناة التي أوغلت في الأحشاء، وأدمت قلبه وأوجعت نفسه .

ويستمر هذا الشوق في قوله أيضا من نفس القصيدة :[1]

أَبَتَـاهُ..!! لاَ تَعْتَبْ عَلـيَّ.. تَقَطَّعَتْ أَوْصـاَلُ رُوحـي.. واحْتَفَتْ أَدْوائِـي

يواصل الشاعر في إظهار حزنه ويأسه المتولدين عن شوقه وحنينه لأبيه مكتويا ومحترقا بنار الشوق لدرجة انقطاع أوصال الروح بسبب البعد .

يقول في قصيدة كبريت شوق :[2]

لـى "أمِّ أوفى" أشد الرحال

لعلَّ مُطَلِّقتي تستجيب لفورة حبٍّ

رواها الوفاء بماء الوفاءْ

أقبل خدَّ الضحى

أنحني لألثم كفا

تفيض عطاء/حنانا/ نقاءْ...!

موضوع هذه المقطوعة الشعرية هو محاورة الشاعر لأم أوفى بحيث أن أوفى هي رمز استعاره من زهير بن أبي سلمى الذي وقف على أطلال زوجته بعد أن تزوج عليها فهجرته بوحي من عزة النفس التي تمتلئ بها أعماق المرأة العربية الحرة، هدرته وهي العروب الوفية، ولم يستطع نسيانها فكانت وقفته أبلغ تعبير عن وفاء الحب لم يمت فخلد ذلك بمعلقته كذلك هو الحال مع عدي شتات الذي اتخذ من أو أوفى عنوان الوفاء والشوق والحنين ليمنحه لأباه فهو لم يستطع أن يمحي صورته من ذاكرته فنجد سيرة حزنه يصور مدى شوقه له وكيف أن للحزن بصم سطوته المريرة عليه ففي قصيدة" انتصر المساء" يقول:[3]

وفار الشوق في صدري.. وغنَّى على وَتَرِ الكَرى.. وبكى السَّناءُ

[1] المصدر نفسه، ص81.

[2] المصدر نفسه، ص71.

[3] الديوان، ص49.

لمـاذا تسكن الآهـاتُ قلبـي وتحرقني.. فيحترقُ الشِّتاءُ..؟؟
وأسرح فـي رُبـى الذِكرى أسيراً وأشْرُدُ كلَّما اشْتَعَلَ البُكاءُ..؟؟
حبيبَ القلبِ أتعَبَنـي النِّـداءُ وحـقِّ الله.. أتْعَبَنـي النِّداءُ..!؟!

رغم هذا الشوق الذي يدمي جسده نجد الشاعر يشيد لأبيه أسمى مكان للقاء به ألا وهو الجنة دار الخلود ويقول في قصيدة أبتاه مزقني الحنين: [1]

فَـافْـرَحْ بِمَقْعَدِ صـــاَدِقٍ مُتَوَكِّلٍ وبِـجَـنَّـةٍ تَـشْـتـاَقُ لـلـغُـرَبـاَءِ

2_3 حقل المكان :

تتردد في قصائد عدي شتات ألفاظ دالة على الأمكنة وغالبا ما كانت هذه الأمكنة دالة على بلدان عربية أو قرى فلسطينية، وكل هذا ينسجم شعوريا مع نفسية المبدع وتعلقه بهذه الأماكن العربية التي ترمز إلى الوحدة العربية المنشودة وأهم هذه الأماكن نذكر: (الدار، الجسر، بيت الحرام، فلسطين، الأقصى، القدس، غزة، الأوراس، الجزائر، الجليل، العراق، بلاد الرافدين، صحارينا، كهفنا، حيفا، النهر، الخليل، كربلاء، يافة، خلف الباب، الأرض، وطن الأشياء، الفيحاء، جيجل، الزوراء، الشرق، الأوراس، الونشريس، الجزائر)وكل هذه الأماكن تحمل دلالات وطنية وقومية ومن أكثر الأماكن التي ذكرها عدي شتات : الجسير باعتبارها قرية فلسطينية صغيرة تقع بين مدينتي الخليل وغزة، احتلت وهدمت تقريبا بالكامل سنة 1948 ومحيت معالمها، ورغم هذا استطاعت هذه القرية أن تخرج العلماء والأدباء والمثقفين والقادة وأغلبهم من آل شتات وأهمهم ابن الشاطئ الذي ظل متمسكا بالروح القومية ولم تنقطع جذوره العربية وظل متمسكا بها يقول الشاعر في قصيدة كبريت شوقا:[2]

لقهوة هذا الصباح مذاق الرحيلْ
إلى قلبك المنتمي للتراب
لليل عيونك وهْي تلون
شَمس "الجسيْر بكبريت شوقٍ"
إلى سمرة الوجه
تحرقها الأمسيات بنار الحنين

[1] المصدر نفسه، ص82

[2] الديوان، ص70

وظف الشاعر مكان الجسر ونسب إليه الشمس وهو تشبيه بليغ حيث شبه أباه ابن الشاطئ بالشمس بحبه للجسير شمس رسمها ابن الشاطئ وتعد مكان مسقط رأسه وموضع نشأته فكانت بمثابة الروضة التي تزعزع بها وحفر ذكرياته بها والتي تعلقت في ذهن الشاطئ وسيطرت على قلبه وكانت هذه الذكرى للجسير ذكرى جميلة مهما عصفت به الأوضاع وكانت له متنفسا له لهمومه في زحمة الأخوان فكل بقعة من الجسير تذكره بذكرى عزيزة خلدها عبر شعره بنفحات حبه ووفائه.

كما كان للعراق ورافديه أثر بالغ في حياة ابن الشاطئ رحمه الله يقول الشاعر في قصيدة بشراك يا ابن الشاطئ:[1]

آ.. الآن عفْوَكَ يـا حبـي بـي مَن سَيُزْهِر في (الجليلِ)

مــن للـعراق ورافــدي هِ حينَ يبطِشُ بالدَّخيلِ

كما نجده يقول أيضا في قصيدة لك الغد يقول:[2]

والدم الحر في شرايين (ليلى) والأماني العذاب في (الحدْباء)

أوليست ليلاك بغداد حقا وعلى جفنها ضحى البيداء ...؟

تمثل صورة بغداد صورة ذهنية تحمل معاني حب الوطن والانتماء، فهي تمثل للشاعر ابن الشاطئ _رحمه الله_ جزء من ماضيه يحمل في طياته التفاؤل بالنصر مشيدا بأصالتها طول الزمن وصمودها في وجه الأعداء وبذلك تركت العراق في قلب الشاعر ذكرى طيبة ومازالت راسخة.

ومن بغداد والعراق نجد الشاعر يوظف أماكن أخرى مقدسة بعبق تاريخها وبقائها راسخة في مخيلته هذه الأماكن تدل على حبه لها ومنها القدس وفلسطين والأقصى تراوحت ذكراها في العديد من القصائد جاءت في صورة رثاء للمدن وموقفه الثابت اتجاهها وهو نفس موقف ابن الشاطئ_ رحمه الله_ يقول في قصيدة غرغرة :[3]

أرى فلسطين فـي عينيكَ ترتَقِبُ وتستفزُّ خُطا الأقصى.. وتلتهِبُ..!!

إلى أن يقول:

---

[1] المصدر نفسه ص20،21

[2] المصدر نفسه ص89.

[3] الديوان :ص13.

أرى فلسطين مـرآةً تُـهَدِّبُـها عيناكَ يا مهجتي..والآن تُسْتَلَبُ..!!

أما في قصيدة وجه أبي فوظف المكان الفلسطيني يقول :[1]

في فلسطين العِنادْ

وانتصرنا يا أبا الأحرارِ..

يا وجه البلادْ..!!

وفي نفس القصيدة وظف الأقصى يقول:[2]

وجهُكَ الأقصى يُرَوِّي

نخوة الدُّنيا

وبركانَ الفِداءْ

هذه الأماكن تدل على حبه وولائه لوطنه فلسطين وبهذه الأبيات الشعرية يرثيها محاولا إثبات الهوية القدسية والشخصية المقدسة رافضا الواقع الحالي له من جراء التواجد اليهودي وما يعانيه من احتلال وسيطرة، هذه الأمكنة التي ورد ذكرها في شعره محتلة وتحتاج إلى من يحررها وينهض بها، فتجربة الشاعر وإحساسه بالمكان وبتاريخه وجغرافيته جعلته صورة حسية تصل إلى نفسية المتلقي فتزيده حبا وحنينا للوطن، تؤجج مشاعر الحنين لديه ورفع هذا الهم العربي .

عاطفة الشاعر هنا عاطفة عامة وليست خاصة به وحده فيبين من خلال أبياته السابقة ألمه وحسرته على ضياع الحق الفلسطيني مسخرا قلمه للدفاع عنه معبرا عن مدى عشقه وارتباطه به.

كما كان للمكان الجزائري نصيبه الحضوري في المرثية باعتباره البلد الثاني له الذي احتضنه، فجاءت قصائده نفسية حملت الصفاء والصدق وقوة الإحساس لامتزاجها بروح المعاناة الصادقة ونتوقف عند بعض الأبيات منها: ما جاء في قصيدة لك الغد يقول : [3]

كنت أخشى عليك ...إنك حقا في شموس الأوراس والشرفاء

نت كالأمم في شرايين يافا تسكن الونشريس في خيلاء

---

[1] المصدر نفسه، ص48.

[2] المصدر نفسه، ص43

[3] الديوان، ص91.

أما في قصيدة لك الخلد يقول عدي شتات :[1]

يا قامة الأقصى منَ ال أوراس قد سطعَتْ رعودي

هذي الجزائر يا حبيبي قد أنجزَتْ كلَّ الوعودِ

هكذا كان للأوراس حضورا عند الشاعر بما يحمله من خلود في الذاكرة الثورية العربية والإسلامية أما ابن الشاطئ _رحمه الله_ فوظفه باعتباره مكان يحيل على الرفعة والسمو والعلاء والأمان فهو يشيد بأنه المكان الذي أنجب الشرفاء ويطمئن على حياة عدي بأنه بين أحضانه .

2_4 حقل الزمان:

إن المتأمل في مفردات حقل الزمان عند عدي شتات يجده يمتاز بالثراء والتنوع فاستغل هذا المعجم استغلالا جيدا تجلى في قدرته على تفجير طاقاته التعبيرية المفردة مما يكسب هذه المفردة دلالات جديدة تعكس عالمه الشعري وتجسد تجربته الشعرية وقد تظافرت هذه المفردات في تجسيد أبعاد تجربته القاسية مع الزمن ونقف عند بعض ألفاظ الزمن التي وظفها في مرثيته منها: الليل، النها، الأمس، الفجر، المساء، عقارب الساعات، السنين، الصباح، الغد، اللحظة، الوقت، الصيف، الخري، نوفمبر، العيد، الماضي، الحضور، عام ... وغيرها من الألفاظ الدالة على الزمان يقول في قصيدة للحب ميعاد أكيد![2]

ومرافئٌ تَهَبُ الحياة لمن تشاء..

وترتوي عند انتصاف الليل

من قلبي وتحترف الحضورْ

وظف الشاعر مصطلح الليل في هذه المقطوعة الشعرية باعتباره لحظة زمنية ترتبط بالهموم والأحزان والمعاناة النفسية، فهو يعبر عن شعوره الحزين والعميق والوحشة التي يجليها مجيء الليل وصوره الممثلة بالظلام والصمت والاكتئاب وفي هذه الفترة الليلية يزداد شعوره بالوحدة والعزلة والاغتراب، ويقول أيضا في قصيدة رغم أنف السماء !: [3]

ومشيْنَا إلى الوراء وقلنَا: قدْ توارَى الأَمَام خلفَ الوراء

---

[1] المصدر نفسه ص18.

[2] الديوان: ص35.

[3] المصدر نفسه:ص93.

يا أبا الفجر منذ ألْف خريف وقف الشرق خلفَ باب الهراء
واحْتَسَى المجْدَ من جرار الحكَايَا وتغذّى على حروف الرجَاء...!

بالنسبة لحقل الزمان الذي وظفه الشاعر في هذه الأبيات يمكن القول أنه تحدث عن الماضي وعبر عن ذلك بلفظة مشينا إلى الوراء وكذلك ألف خريف، هذه الألفاظ الزمانية اتخذها جسرا للعبور إلى ما يختلج في نفسه وهو يحمل وطنه أينما حل مبديا موقفه الرافض للشرق وأيضا للاضطهاد الاستعماري لبلاده فمن خلال هذه الأبيات الشعرية يخوض في أعماقه، ويصورها ويعكس ما تختزنه مشاعره المؤلمة والحزينة، فنفسه باتت موطنا لأحزانه وأحزان وطنه .

وعلى ضوء ما سبق ذكره من الحقول الدلالية نستنتج كيف ساهمت هذه الحقول في تشكيل بنية القصائد وذلك من خلال دلالاتها وإيحاءاتها التي كانت ترتبط ببعضها البعض .

3_ العاطفة:

تطرق العديد كمن النقاد إلى مدلول العاطفة فنجد عبد الحميد حسين يقول:" العاطفة هي لب الفنون وعمادها، وهي المعزف الذي تصح به أوتار الأدب، وعليه يعزف الأديب وهي الشرفة التي يطل منها على ما تنطوي عليه النفوس من ألم وأمل والمنفذ الذي يصل منه إلى القلوب، وهي ترجمان لما يمكن من مظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعية وهي التي توجه الفن إلى المثل العليا في الحياة "[1]

سطر الشاعر أسمى صفات الوفاء والحب لأبيه الذي دفعت به الظروف السياسية والفتن الداخلية إلى الخروج من وطنه، ففاضت أشعاره بالشوق والحنين إلى أبيه ووطنه وبالألم والعذاب، وبصدق وفيض الشعور وعمق التجربة والانفعالات المغلغلة بنيران الفراق نجد عدي شتات له تجربة حقيقية في الغربة والفراق رسمها لنا بصدق العاطفة. من خلال الأبيات الشعرية الحزينة، الشاعر يتمنى عودة أيام الأنس مع أبيه لأنه ذاق مرارة البعد فهو يصف مدى تفطر قلبه من الألم لفراقه ويظهر الصدق جليا في عاطفة الشاعر بأسلوب رقيق وألفاظ لينة عذبة نلتمسها في قوله من قصيدة "لا تسكن البلور" يقول:[2]

...في نار سريري يتلظَّى وجعي

[1] عبد الحميد حسين: الأصول الفنية للأدب، مكتبة الأنجلو، مصر، 1964، ص71.

[2] الديوان ص33.

تتخبَّطُ أنفاسي الحَيْرى ويهُرُّ الدَّمعُ
فأغرقُ في القهْرِ..
يُتَعْتِعُني الألم الطالع من كُلِّي..
أتهجَّدُ..
يتوهَّجُ حبل الموتِ..
فأنصَهِرُ..!؟!

اتسمت الأبيات بصدق الشعور فينقل لنا صورة الألم والوجع الذي يتخبط أنفاسه بذرف الدموع تعبيرا عن حالته النفسية والجدية التي أتعبتها آلام الفراق.

كما تراوحت عاطفة الشاعر من عاطفة ألم وعذاب عندما كان مقهورا مكويا بنار الشوق نجد عاطفته تتراوح بين الحنين والأمل وهي العاطفة الأقوى في الديوان.

وهو يستقيم مع طبيعة الموضوع فكان الديوان صورة داخلية لنفس الشاعر، استطاع أن يصور من خلاله مدى الحزن واللوعة في قلبه، ويمكن التعرف إلى ذلك عن طريق النظر إلى الألفاظ التي كانت تقطر أسى ولوعة فمعجم الشاعر يدور في فلك الشجن والوجع .

وهذا يتناسب مع الواقع الفاجع الذي أحياه فقصيدة كبريت شوق تنقل لنا صورة الحزن والحسرة على الوطن الذي اغتصبه العدوان يقول:[1]

لقهوة هذا الصباح مذاق الفراق
ولون الدماءْ
على غزة الفجر شال انتصارٍ
تمزقه جدُرٌ من حديدٍ
وسكين صمتٍ
وحفلة زارٍ
ودور بغاءْ

عاطفة الشاعر في هذه الأبيات الشعرية عاطفة ثائرة على الدوام لا نكاد نلمح لها فتور، فحدة العاطفة متباينة في نوعها ومختلفة في اتجاهها بحيث نجدها عاطفة موجهة بشكل عام إلى الأمة العربية ومن جهة أخرى موجهة بشكل خاص إلى غزة وحبه وعشقه لترابها وتألمه

[1] الديوان:ص69

لما يجري فيها من أحداث تدمع العين لها بسبب الأوضاع التي حلت بالبلاد العربية التي حمل همومها في صدره وعبر عن ذلك بصورة فنية رائعة وهذا الحب والموقف الثابت هو نفس حب ابن الشاطئ_ رحمه الله_ ونفس الموقف، فالشاعر يسير على نهجه ويبدي عاطفة قوية تنبذ الاستسلام واليأس بكل عفوية وبلغة بسيطة سهلة تصل إلى القلوب من نفس متحسرة آسفة ونقف على مقتطفات من قصيدة أبتاه مزقني الحنين يقول: [1]

اليَوْمَ جِئْتُ أُجَـدِّدُ العَهْدَ الـذي عـاَهَدْتُ.. فَاهْنَأْ يـاَ أَبـاَ الشُّرَفـاَءِ
أَنـاَ مـاَ أَزالُ.. وَسَـوْفَ أَبْقـىَ أَقْتَدي بِـهُـدىَ الحَبِيـبِ وَمَنْـهَجِ الخُلَفـاَءِ
وَعَلـىَ طَرِيقِكَ سَوْفَ أَمْضِـي مُؤْمِنـاً أَشْــدُو لِفَـجْرِ الأُمَّــةِ العَـرْبـاَءِ

4_ لوعة الفقد:

حتى تتضح لوعة الفقد وصراع الشاعر مع نفسه، يجدر بنا التعرف أولا على كيفية تلقيه النبأ المرعب وأثره المباشر عليه بحيث يقول عدي شتات: "فجر الثلاثين من نيسان 2008، لمحت من بعيد صديقي العزيز هاني سليط قادما... قرأت في ملامحه الفاجعة...؟فغرغرت قائلا : غرغرة !"[2]

الشاعر عدي شتات قرأ الفاجعة بلغة العيون في وسط مهيب أحاط به الصمت وسيطر فيه الذهول على الموقف فكانت لحظة النهاية وساعة الموت حكاية مؤسية يرويها الشاعر عدي في قصيدة غرغرة يقول: [3]

أرى فلسطين فـي عينيكَ ترتَقِب ُ وتستفزُّ خُطا الأقصى.. وتلتهِبُ!!..
وفـي خوالجها تنداح أشرعةٌ (طَيْئِيَّةٌ)أشرَقَتْ في صدرها الحِرَبُ
وغابة من نخيلٍ ما هَوَتْ أبداً إلاَّكَ يا فرحةً فـي الدار تنسَكِبُ
أرى فلسطين مـرآةً تُهَدِّبُها عيناكَ يا مهجتي..والآن تُسْتَلَبُ..!!

يعد موت ابن الشاطئ رحمه الله منعرجا حرجا على نفسية ابنه فلوعة الفقد عند الشاعر وحسرته في استحالة اللقاء مرة أخرى به يصعد آلامه وحزنه بعدما كانت الدنيا مضيئة في وجهه وكان هذا الضياء قبيل سويعات فقط من الرحيل بعدما كان ينتظر عودته

[1] المصدر نفسه:ص82.
[2] الديوان ص13.
[3] المصدر نفسه ص13.

من سوريا فكان ابن الشاطئ _رحمه الله_ غائبا عن العائلة مدة شهرين تقريبا، فعلى عتبة الثالثة صباحا طرقت باب الفكر خواطر مشحونة بفرحة عودة حبيبه فنظم قصيدة له بعنوان شمس الجسير لكن الموت كانت أسرع وتوفي بعد أرع ساعات من عودته إلى جيجل لهذا كان من الصعب استيعاب غيابه الأبدي يقول في مطلعها:[1]

كَانَتْ تُفَتِّشُ عن حَبيبٍ من وَرَقْ وَتَدورُ في فَلَكِ المَرايَا كالشَّفَقْ
وعلى المُحَيَّا طائرُ الفينقِ قَد رَكِبَ المَنايَا دون خَوفٍ.. واحْتَرَقْ
وتسلَّق الأرز العيون فأشرَقَت شمس (الجُسَيْرِ)*..وقبَّلَتْ خَدَّ الأفُقْ

إلى أن يقول:[2]

عانقتها وبنادقي تشدو هنا والفجر يزرع بالرَّصاصِ المُفْتَرَقْ
ما زلتُ أفترش الرَّوابي.. والهوى ما زال يقطف من أمانينا الحبقْ..!!

يوضح في هذه الأبيات الشعرية حال الممدوح الدالة على الرفعة والبطولة والمكانة والعلو وهذه الصفات تدل على السيادة والشأن والقيمة فهو يصفه بشمس الجسير حاله حال الشمس المرتفعة في السماء حيث الأشعة الصادرة منا للأرض الوافرة الظلال في كل مكان فأخذ من الشمس رمزا لينسبه إلى منطقة الجسير وللجسير شمسا اسمها ابن الشاطئ.

وتتواصل صرخات عدي شتات التي أطلقها باستفهامات عديدة تعكس حيرته المعذبة، فالموت سلب أباه غير أن الشعلة أصابت فؤاده فيبكي على فراقه بكاء مرا ويطلق العنان لدموع عينيه فيتركها تنهمر وبذلك فهو يرثي نفسه كما يرثي ابن الشاطئ _رحمه الله _ لكن سواء رثى الشاعر أباه أو رثى نفسه فإن لوعته واحدة يرصدها لنا بعاطفة مشحونة بالنار والشوق معبرا بذلك عن نفس ذاقت الحياة وأرهقتها الآهات يقول في قصيدة لا تسكن البلور:[3]

أبتاهُ أتعرف ما معنى الرِّدَهْ..؟!؟
يتلظَّى وجعي/ تتخبَّطُ أنفاسي الحَيْرى ...في نار سريري
ويهُرُّ الدَّمعُ

[1] المصدر نفسه ص10

[2] المصدر نفسه، ص11

[3] الديوان، ص33.

فأغرقُ في القهْرِ..
يُتَعْتِعُني الألم الطالع من كُلِّي/ أتهجَّدُ...
يتوهَّجُ حبل الموتِ/ فأنصَهِرُ..!؟..!

يرسم عدي شتات صورته بعد موت والده بشكل تلتاع به القلوب فهو لا يستطيع النوم من آثار التوجع، يخاطبه بعيون منهمرة دمعا ويترجاه أن لا يسكن البلور، يريده صورة حية نصب عينيه، لا صورة مجلدة ساكنة بداخل البلور، اتخذت من الخزانة مكانا لها وما هذه الأبيات إلا صرخات يطلقها كلما أمعن في فاجعته إلى أن يقول في نفس القصيدة :[1]

أهربُ من نَيْر سريري
وأقَبِّلُ شفتيكَ..
ويصفعني
بردُ البِلَّوْرِ فأنْفَطِرُ..!؟!
ويفور الدمع..
وينفجرُ..!؟!

هذه الأبيات تفصح لنا عن مضامينها فمصيبته أكبر عندما انصدم بحقيقة البلور فهي حقيقة عجز عن تقبلها وهذا ليس جهلا منه بل مقدار الحب الذي يكنه له والأيام الجميلة التي جمعته به .

كما نجد الماضي قد شغل حيزا كبيرا من ديوانه لأن ذكرياته تحيط به من كل زاوية وفي كل وقت هذه الذريات قيدت الشاعر بواقع تحيط به الأحزان من كل جانب بحيث كان ابن الشاطئ _رحمه الله_ يستيقظ دائما في وقت الفجر مهما كان موعد نومه وكان عدي شتات في أغلب الأحيان يقاسمه هذا الموعد فكان بينهما وقت مقدس وقت الفجر على فنجان قهوة قبالة البحر يوميا، لكن بعد وفاته رحمه الله بقي الشاعر أكثر من ستة أشهر لا يقوى على دخول تلك الرفة لأنها من أكثر الأماكن الحميمة التي تذكره به وحين دخلها أول مرة وفي يده فنجان قهوة حليب في مكانه المعتاد فهاجت الذكريات وتدفقت كبريت شوق

[1] المصدر نفسه ص43.

والتي تزامنت مع إعلان مصر أنها بدأت في بناء جدار فولاذي يفصل بينها وبين قطاع غزة يقول:[1]

لقهوة هذا الصباح مذاق المساءْ
ورائحة الموت تنبض
بين فراغات فنجان حلم طويلٍ
توطن روحي
وغاص عميقا..
عميقا بقلبي
على شرفة النور
بحر الحكايات

يأكد الشاعر بقاءه على الوفاء لأبيه وأن ذكراه مازالت حية وهذا الوفاء احتوته قصيدة "لك الخلد" التي ألقاها في تأبينة الراحل ابن الشاطئ_ رحمه الله_ التي أقيمت بالمكتبة الوطنية العربية مساء العاشر من حزيران/يونيو 2008م والتي اختارها عنوانا للديوان يقول:[2]

...يا قامة الأقصى تَوَسْ سَدْ أضلعي واسكنْ وريدي
واركبْ عَنانَ المجد يا عمري.. ويا بيت القصيدِ
فسماء غزَّةَ يا أبي قد أحرقَتْ جيش اليهودِ

جعل الشاعر من وريده مسكنا وموطنا لابن الشاطئ فمهما غادره فإنه يبقى حيا في النفوس وذكرى طيبة إخلاصا ووفاءا له فهو يهب بذلك حياة الخلد والنقاء باعتباره خلف إرثا غاليا وضخما إلى أن يقون من نفس القصيدة:[3]

وقَفَتْ لتبقى في ضمي رِ الكون عنوان الخلودِ
وتقولَ للدنيا بأن ْنَكَ بسمةُ النصر الأكيدِ

بالرغم من الغياب فالذكرى راسخة في ذهنه تحفظها الأماكن التي كانا يتواعدان فيها والمواقف التي جمعتهم ولتعزيز هذه الذكرى قام بالرد عليها في قصيدة لك الخلد .

[1] الديوان :ص69.
[2] الديوان، ،ص14.
[3] المصدر نفسه:ص17.

كما يصور لنا عدي شتات صورته وصورة الجو العائلي بعد موت أبيه وكيف كان حضوره الدائم رغم الغياب الأبدي وصورته رحمه الله حاضرة معهم في كل حين بحيث يبقى عدي لفترة طويلة بعد وفاته حين يطرق الباب يقول عاد أبي ولا يتذكر أنه توفي كذلك حين يسمع صوتا أو سعالا أو حركة ليلا يقول إنه أبي لكنه سرعان ما يفيق من ذلك الحلم ويصور لنا هذه الأحداث وفي لحظات العصبية التي أوغلت مخيلته في العديد من القصائد ونتوقف عند قصيدة "أضغاث أحلام" التي حفلت بالعديد من المواقف التي كانت لذكراه حاضرة وكانت توهمه ليزيد يوما بعد يوم يقول في مطلعها :[1]

بالأمس دُقَّ البابُ فانتفضَتْ عيوني
وتسارعَتْ دقَّاتُ قلبي
وانتشتْ حدَّ الجنونِ
وتسابقَتْ قدمايَ
وانبسَطَتْ أساريرُ الممرّ

هذه الحالة الشعورية لم يستطع الانعتاق منها فهو يصارع ذكرياته ويتوهمه بأنه ذاك الإنسان الذي يطرق باب الدار ويسارع إليه لملاقاته وهي عادة ألفها في الجو العائلي وصورة من صور الحياة اليومية إلى أن يقول في نفس القصيدة :[2]

حلَّقْتُ في دوَّامة الشَّكِ/ اليقينِ
وصمتٌ..
ثمَّ صمَتٌ..
ثمَّ صمتٌ..
وانفعلَتْ
مواويل السُّكونِ
هجَّيْتُ: "بابا!!.."
وارتميْتُ على يديكَ..
على شجوني

[1] المصدر نفسه ص19.

[2] الديوان :ص15.

كما كانت أعياد ميلاده بعد وفاته تمثل ذكرى غير طيبة في نفس الشاعر يستقبلها مهموما حزينا فنجده ينظم قصيدتين بهذه المناسبة الأولى بعنوان "أبتاه مزقني الحنين" وكانت في السنة الثالثة بعد رحيله، وقصيدة أخرى بعنوان "رغم أنف السماء" نظمها يوم الثلاثين من شهر أفريل لعام ألفين وإثنا عشر أي الذكرى الرابعة لرحيله، نجد هذه القصيدتين تصور حزنه والفراغ الكبير الذي يعيشه، فرغم انقضاء السنوات ومرورها إلا أنها لم تخفف من جرحه وحزنه فهي تزيده ألما وعذابا غير أنه وجد فيها فسحة للحديث عن فقدانه لرفيق دربه ومعظم أبيات القصيدتين تنصب على التذكر والحنين والأيام الجميلة التي تقاسمها معه ففي قصيدة أبتاه مزقني الحنين يقول : [1]

أَبَتَاهُ..! مَزَّقَني الحَنِينُ فَحُلْوُه ... مُـرٌّ.. وَيَأْكُلُ مُـرُّهُ أَحْشَائِي
حَتىَ الرَّبِيعُ تَغَيَّرَتْ أسْمَاؤُهُ ... وتَغَيَّرَتْ فِـي ظِلِّـهِ أَسْمَائِي
عَـامٌ جَدِيدٌ أَقْبَلَتْ أَنْيَابُهُ ... مَاذَا سَيَنْهَشُ..؟ بُعْثِرَتْ أَشْلاَئِي..!!

هذه الأبيات تكشف ما في نفسه من حزن وجروح بعاطفة قوية تطغى على جميع الأبيات فمرارة الحنين تمزق أشلاءه وكل شيء لم يعد كان حتى الربيع تغير فكل شيء لم يعد له طعم وتتزايد مرارة الغياب وتتعالى آهات الشاعر وتتصاعد عندما يقول :[2]

أَوَّاهُ يَا (ابْنَ الشَّاطِئِ) الحُزْنُ اكْتَفَىَ ... مِنْ وَجْنَتَيَّ.. وضَاقَ باسْتِجْدائي
وَطَغَىَ الفِراقُ.. وَفِي سَعِيرِ جِراحِهِ ... أُصْلَىَ.. وَأَسْكُنُ فِي شُقُوقِ رَجَائي
وَأَهُزُّ جِذْعَ المَوْتِ.. أَقْفِزُ نَحْوَهُ ... فَتَشُدُّني بِـ(المُلْكِ) و(الإِسْراءِ)

يحس الشاعر أن الحزن لم يشف ما في نفسه من قروح يتمنى الموت واللحاق به فيأخذ من جدع الموت وسيلة للوصول واللحاق به ليفرغ بذلك حمولة الأحزان ويطفئ نار الشوق والحرقة التي أكلت أحشاءه .

كما يجدر بنا الوقوف عند أمر آخر، يصور لنا لوعة فقده وهي مناسبة العيد وكيف استقبلها الشاعر مصورا تلك الأجواء الحزين و وكيف خيمت على الجو العائلي ففي ثاني أيام عيد الفطر المبارك كتب قصيدة "بطاقة عيد" يقول في مطلعها :[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص80.

[2] الديوان:ص 80 ،81.

[3] المصدر نفسه،ص 25.

أَبَتاهُ جاء العيدُ مقْصوصَ
الضَّفائِرْ
أبتاهُ جاء مُشَوَّهاً
وتمزَّقَتْ فيه
الأواصِرْ

يصور الشاعر أجواء العيد وكيف أنه جاء منقوص الفرحة في غياب والده الذي اعتاد عليه، كما يصفه بأنه عيد مشوه تمزقت فيه الأواصر تغيب فيه مظاهر البهجة والفرحة ويزداد وصفه بأبيات تحمل في طياتها الحزن والأسى يقول:[1]

سَلْ حَلْوَةَ العيد السَّعيدِ
عَنِ "المُغافِرْ"..!؟!
لا شيءَ غير الدَّمعِ
قَبَّلَ خَدَّنا المشتاق

الشاعر في هذه الأبيات يسلط الضوء على أدق التفاصيل وحيثياتها الأليمة التي خيمت على نفسيته وعلى أهل المنزل أيام العيد ليجد نفسه أسير الذكريات التي قضاها أيام الأعياد الماضية وكيف كان للعيد طعم ابن الشاطئ فيخاطبه بهذه الأبيات :[2]

العيد!!..
ما العيد..؟!
يا نوَّارَةَ البيتِ المُكَحَّلِ بالخَليلِ..
وبالنَّقَبْ..؟!
ما العيد..؟!
والمنفى يحاصر في شراييني
الغَضَبْ..؟!

[1] المصدر نفسه: ص26

[2] الديوان :ص26

الشاعر يعيش حالة من الحزن والكآبة ،فهو يبكي الأعياد الجميلة الماضية وينظم إلى هذا العيد الحاضر بقوله العيد ما العيد، وبنفسية متشائمة يصور لنا هذه الأجواء بأسئلة استنكارية، وكأنه هو نفسه متفاجئ مما حصل له لقوله :[1]

. سألتني ...

وسألتَ:

هل عادَتْ "سعادُ"..؟!

وسألتني عن كهفنا المسحورِ..

عن "سفَّانتي.."

وسألتَ عنِّي..

عن "سلافة.."

عن "لمى"..

تدب في أوصال الشاعر ملامح اليأس والقنوط والتخاذل في العيد فعمل على استحضار صورة عبرت عن روح ابن الشاطئ وهو يقاسمه أجواء المناسبة ويسأله عن زوجته سعاد وعن ابنته سلافه وعن أحفاده لمى وسفانة عله بهذه الصورة تملأ هذا الفراغ العائلي وتملأ حياته ونفسه، غير أنه يستكشف حرقة في نفسه لا تهدأ ولا تفتر يصورها لنا في قوله من نفس القصيدة:[2]

ماتَتْ بموتكَ

كلّ بارقةٍ يقبِّل خدَّها

شطُّ العَرَبْ

لوعة الفقد عند الشاعر لا تقتصر على الأبيات التي توقفنا عندها فهي متواجدة في كل موضع من الديوان تمثل صورا ملتاعة تعبر عن حرقة الموت التي تملأ قلبه وعقله وتتخبط في وجدانه

[1] المصدر نفسه، ص29، 30.

[2] الديوان، ص27.

5_ الرثاء بصيغة المدح:

إذا كان الرثاء يقوم على الألم والحزن والتحسر جراء فقدان الأهل والأحباب فإن المدح يقوم على ذكر محاسن الممدوح والتغني والإشادة بمختلف محاسنه وصفاته الحسنة وأخلاقه الحميدة، فمن خلال تطرقنا للديوان نجد الشاعر مزج بين هذين الغرضين منتقلا بذلك من الوحدة النفسية التي تعتصر أنفاسه ومشاعره إلى الجهر بعواطفه اتجاه أبيه وتعداد مناقبه ومحاسنه وتعرضهما عرضا مباشرا في صيغة مدح هذا النوع يتخلل أبيات ومقتطفات شعرية تتناثر بين قصائد الديوان ونتوقف عند بعض النماذج منها ماجاء في قصيدة الشاعر " الشاعر الإنسان " يقول :[1]

سليلُ الكرامِ وضيءُ الحسامْ

الشاعر يتحدث عن كرم ممدوحه ويصفه بالحسام القاطع الذي يصيب الهدف كلما وجهه صوب العدو ويقول أيضا :[2]

ضغطَّتَ الزنادَ لنشرِ السلامْ

ونبذ الخصامِ وخنقِ اللِّئامْ

لم يتوقف الشاعر عن ذكر الصفات المعنوية، فعدد مناقبه بحد من الألفاظ من شأنها أن تظهر مكانته وحقيقة وجوده وأعماله فعبارة ضغطت الزناد تختصر ما قام به بحيث كان إسماعيل إبراهيم شتات مناضلا والدليل على ذلك التحاقه بصفوف الثورة الفلسطينية منذ اندلاعها في جانفي 1965م بحيث أنيطت به العديد من المسؤوليات الأمنية والعسكرية مما جعله عرضة للعديد من محاولات الاغتيال والاعتقال، فعدي شتات يفتخر ببطولات والده في أكثر من موضع كما يقول في قصيدة "للحب ميعاد أكيد" :[3]

يا سيِّد الحرف المخضَّبِ بالبنفسج

والنخيلْ

يا شوق حيفا

حين تخطر في محيَّاها الأصيلْ

---

[1] المصدر نفسه، ص8.

[2] المصدر نفسه، ص8.

[3] الديوان:ص 36.

لم يكتف عدي شتات بوصف ممدوحه بصفات الشجاعة والقوة وغيرها بل تعداهم إلى أكثر من ذلك فهو يكشف لنا عن جانب آخر من شخصيته وهو الجانب الأدبي الذي اختزله في قوله يا سيد الحرف وكيف لا وهو الذي سخر قلمه للدفاع ولخدمة القضية الفلسطينية وقضايا الضفة الغربية في خمسينات القرن الماضي كما نال شرف تمثيل الأردن وفلسطين في مهرجان تتويج " الأخطل" أمير الشعراء عام 1962م ببيروت وشارك في تأبينية الأديب الأخطل الصغير بقصيدة اعتبرت من أجمل ما قرأ في المناسبة في بغداد عام 1969 م وغيرها من المناسبات ويواصل الشاعر في مدحة ووصفه لأبيه فيخاطبه في نفس القصيدة يقول :[1]

يا شاطئ الشعر الجميلِ..

وشاطئ الحلم الخصيبْ

كما نجد الشاعر في بعض المقطوعات الشعرية يمده أباه حبا ووفاء له وبقاء على العهد وإخلاصا للأيام التي قضوها معا وهذه الابيات في مدحه خير دليل على ذلك غير أزن هذا المدح جاء ممزوجا بمعاني الرثاء ليبث بذلك أحاسيسه الرقيقة وعواطفه الصادقة لممدوحه.

يقول :[2]

أنا ما رثيتك...فالحروف تمنعت الفكر غازلها على استحياء

وأخاف إن عبرت جموح خواطري يوما ...وأحنت ظهرها لندائي

أنا ما رثيت ...ولست أجرؤ مطلقا أطلق فمي يا سيد الشعراء

استطاع الشاعر أن يخرج ألفاظه ومرادفاته من طابع الحزن الذي قام عليه الديوان فجعلها ألفاظ موجبة معبرة عن ما كان يختلج في فكره وعقله فعدي شتات يحاور ويقول أنا ما رثيتك فهو يبتعد عن الرثاء ليقف على مدحه لذلك نجده بنفسيتين مختلفتين من نفسية تتيم بالكتابة واليأس والقنوط إلى نفسية تتسم بالانفراج تشكلت من عق مخزون الذكريات السعيدة

[1] المصدر نفسه:ص37.

[2] المصدر نفسه، ص37.

والجميلة، فيمدح عناصر السعادة في أيام له خلت وفي ليالي معه مضت يقول في مطلع إهداء الديوان: [1]

لا تعدلوني إذا ما قلت أهواه ورحت أترف في سبتان ذكراه

إلى كل جميل في هذه الدنيا والدي الحبيب وأستاذي الكبير

" ابن الشاطئ "

6_ صفات المرثي :

يعد الوصف من أهم الأغراض التي اعتمد عليها الشاعر في وصف ابن الشاطئ _رحمه الله_ وقد اهتم في ذلك بإبراز جملة من الصفات التي تحتل جزءا لا بأس به في ديوانه الصغر يجسد من خلالها أبرز وأنبل الصفات التي اتسم بها وجعلها أصيلة فيه ونوقف عند أهم الصفات منها :

الشجاعة: أشار الشاعر إلى قوة ممدوحه وشجاعته وبسالته في محاربة العدو المستعمر في العديد من الأبيات نجده في قصيدة "وجه أبي" يقول:[2]

واعتصمنا بالجهادْ

كلَّ ما في أرضنا السمراء لَبَّى

في اعتدادْ

وانبعثنا من جديدٍ

في الرَّمادي..

في فلسطين العِنادْ

وانتصرنا يا أبا الأحرارِ..

يا وجه البلادْ..!!

كان لابن الشاطئ _رحمه الله_ شجاعة نابعة من نفسه التي تأبى الظلم والاستبداد وما يثبت ذلك التحاقه بصفوف الثورة الفلسطينية وتحمله مسؤوليات أمنية وعسكرية، فسخر حياته لفلسطين، فهو محب لها ومؤمن بقضيتها مناصر حريتها من قيود الاستعباد والاضطهاد وهو الذي احترق كالشمعة لينير ويضئ السبيل لشعبه واستمرت شجاعته هذه فقد تعدت

[1] الديوان، ص5.

[2] المصدر نفسه، ص48.

ثورته الميدان السياسي إلى الميدان الاجتماعي والثقافي والأخلاقي فكان ثائرا بعقله وقلبه على الواقع والوضع الذي يعيشه بله وهذه الشجاعة النفسية نجدها عند عدي فابن الشاطئ _رحمه الله_ عن نفسه يقول في قصيدة "لك الغد" :[1]

يا حبيبي ...أحب فيك انطلاقتي منذ أن كنت لحظة استثناء
منذ أن جسدت فلسطين وصلي واستنفرت في (بيت لحم) دمائي
وتراءت بنادق الصحو حينا وتجلت في (الرملة البيضاء)
لست أخشى عليك ...حسبك أني في مراياك موغل في انتمائي

كما تطرق الشاعر إلى العديد من الصفات والفضائل التي تميز بها ابن الشاطئ _رحمه الله_ والتي تدل على علة المكانة والسيادة والنسب العريق وغيرها من الصفات التي من شأنها أن ترفع من مكانة ممدوحه وتعلي من منزلته وتضفي عليه الهيبة والتقدير، بحيث نجده تطرق إلى مدح أصله ونسبه والإشادة بشرفه والحديث عن أصالته وعراقته واعتمد في ذلك على الوصف الذي يعد من أهم الأغراض التي اتكأ عليها في إبراز ذلك وعمد إلى جعل هذه الصفا أصيلة فيه فوسمه بها، والتي تحتل جزءا لا بأس به في ديوانه الرثائي إذ يقول في قصيدته "للحب ميعاد أكيد" :[2]

يا سيِّد الشُّعراء
يا أَلَقَ المُريدَةِ والمُريدْ
ماجَتْ على شفتَيْكَ أشواقُ القصيدْ
وتدفَّقَتْ مفتونةً
بالصِّدْقِ.. والنَّفَسِ الجديدْ
للحبِّ ميعادٌ أخيرْ

وفي ذكر الشاعر لهذه الأبيات عبر فيها عن مدى حبه وتعلقه بأبيه كأنه غدا للمدح والغزل لا للرثاء وهذا يكشف لنا عن مدى إخلاصه ووفائه له، فالشاعر حشد الألفاظ التي

[1] الديوان: ص 90، 91.
[2] المصدر نفسه : ص38.

من شأنها أن تظهر مكانة أبيه وحقيقة وجوده في حياته ولم يتوقف الشاعر في وصف أبيه إذ يقول في قصيدة أخرى بعنوان "أنت الحب" :[1]

لأنت الشمس والقمر وأنت السمع والبصر

على أنفاسك الحرّى يراقص ظله الشجر

في هذه الأبيات عمد الشاعر بتشبيه أبيه بالشمس والقمر كذلك السمع والبصر ليبين مكانته العالية التي يحتلها ويتميز بها .

واستمر الشاعر في وصف أبيه ولم يتوقف على ذكر الصفات المعنوية فيه بل تعداها إلى الصفات الجمالية والتي تبرز في شكل أوسع في بعض القصائد، بحيث نجده يكرر هذه الصفات في بعض الأحيان ويلج هذا الجانب على قصائده الرثائية نتوقف عند بعض القصائد التي تطرق فيها إلى الصفات الجمالية يقول في قصيدة "لك الخلد":[2]

فسمار وجهكَ يا حبي بي فار من شمس الحصيدِ

وعيونُكَ العطشى ليا... ...فا مشَّطَتْ شَعر البريدِ

ويقول في قصيدة كبريت شوق :[3]

شمس "الجسير بكبريت شوقٍ"

إلى سمرة الوجه

تطرق عدي شتات في هذه النماذج الشعرية إلى سمرة وجه ابن الشاطئ رحمه الله في قوله فسمار وجهك يا حبيبي والسمار في التراث الفلسطيني نجد مرتبط بالبندقية وهي متلازمة للفداء الفلسطيني والمتطلع على التراث الشعبي لهذا البلد يجد بأن أبناءه غنون للأسمر أبو كوفية.

وختاما نجد ابن الشاطئ رحمه الله عاش كما اسمه على شاطئ الحب والعشق هائما بربوع أمته الحبيبة ووطنه الغالي .

---

[1] الديوان، ص 76.

[2] المصدر نفسه ص17.

[3] المصدر نفسه ص 70.

خاتمة

خاتمة

وفي الختام اقتضت منا هذه المذكرة خاتمة كانت بمثابة الوعاء الذي يحتضن زبدة البحث المتمثلة في أهم النتائج المتوّصل إليها في هذه المرحلة والتي اقتضت بنا إلى ترتيب الأفكار وتنظيم المعلومات وتبويبها بشكل منطقي ويمكن إجمال تلك النتائج فيما يلي:

_ الرثاء مصطلح قديم، جذوره متأصلة في مؤلفات علماء العرب القدامى ومازال قائما لدى الشعراء المعاصرين.

_احتفظت الأمة العربية عبر تاريخها الطويل بتراث ضخم من المراثي، ومعظم هذه المراثي التي وصلتنا تميزت بصدق اللوعة وحرارة العاطفة .

_يعد الرثاء من أصدق العواطف الإنسانية وأجلها تصويرا، ولهذا فإنه غالبا ما يتحقق فيه الصدق الإبداعي فنا وموضوعا، وبالتالي فإنه ترجم واقعية أصلية وصورة فنية مأثرة كما أنه تجربة اجتماعية عامة، لأنه غالبا ما يكون في شخصيات بارزة مشهورة كالملوك المحبوبين والعلماء المفقودين والشعراء المأثرين...إلخ

_يقوم الرثاء على ثلاث مراتب :الندب، التأبين، العزاء، فالندب هو الصورة الأولى التي درج عليها أهل الجاهلية في رثائهم للميت أما التأبين فهو أدنى من مرحة الندب ويأتي في صحوة الراثي من صدمته الأولى في حين نجد العزاء تسلية النفس بالصبر هذا فيما يخص الجانب النظري، وبالعودة إلى الجانب التطبيقي نسجل ما يأتي :

_لقد استخدم عدي شتات في مدونته الرثائية حقول دلالية متنوعة مما يدل على ثراء معجمه الشعري

_ تلونت موضوعات الرثاء لدى عدي شتات بألوان مختلفة من مدح ووصف وفخر وانعكس ذلك على انفعالاته ومن ثم على لغته الشعرية

_سخر عدي شتات ديوانه الرثائي بتخليد المرثي _ابن الشاطئ_ رحمه الله وذلك بذكر صفاته وتعداد خصاله الحميدة في صورة مثالية

_ ما يميز هذا الديوان هو اقتصاره على موضوع واحد، قدم لنا صورة صادقة للحزن وهي العاطفة التي يقوم عليها الديوان أساسا، وعلى ذلك فوحدة الموضوع في الديوان قادت إلى وحد العاطفة

هذه أهم النتائج والملاحظات التي رصدناها في هذه المرحلة البحثية آملين أن نكون قد حققنا قدرا ولو بسيطا من الفائدة راجين أن تفتح آفاق وزوايا أخرى جديدة يمكن للدارس الانطلاق منها لإنجاز بحوث جديدة

الملحق

السيرة الذاتية لإبن الشاطئ

قصيدة الخلد

التعريف بإبن الشاطئ إسماعيل إبراهيم شتات :

في الثامن والعشرين من شهر أيار مايو عام ألف وتسعمائة وتسعة وثلاثين ولد الشاعر الكبير إبن الشاطئ بقرية الجسير الواقعة على الطريق بين الخليل وغزة في بيت فلسطيني أصيل وميسور الحال، حيث تعتبر الأسرة من أغنى عائلات المنطقة، بدأت مسيرته في القرية عندما وصل إلى الصف الرابع إبتدائي بينما كانت العائلة تحصد المحصول في فترة الهدنة الأولى 7جوان1948، خرق الصهاينة الهدنة الموقعة مع العرب وهجموا على الجسير والقرى المجاورة لها فتشردت العائلة ولجأ الشاعر مع عائلته إلى مدينة الخليل وفيها ذاق مرارة اللجوء وعام 1950 ذاق مرارة اليتم بعد أن توفي والده مما ضاعف من معاناة الشاعر الذي وجد نقصه بعد عشية وضحاها مسؤولا عن عائلة مكونة من ستة أفراد.

إلتحق شاعرنا الكبير إلى صفوف الحركة الفلسطينية الوطنية في سنة مبكرة ونبغ في الدراسة رغم ظروفه الاجتماعية والسياسية الصعبة كما استطاع بفضل موهبته المتفجرة منذ نعومة أظافره بأن يسخر قلمه لخدمة القضية الفلسطينية وقضايا الأمة حتى أنه بات من أشهر الشعراء في الضفة الغربية من خمسينيات القرن الماض ورغم الظروف الطبيعية التي أفرزتها النكبة ووفاة والده إلا أن شاعرنا الفد لم يدخر جهدا في التحصيل العلمي وفي عام1950 م تحصل على شهادة البكالوريا بتقدير امتياز.

بسبب انتمائه السياسي وخطه النضالي ،تعرض ابن الشاطئ لاعتقال مرات عديدة كان آخرها في صيف 1957م وحكم عليه بالسجن لمدة 17 سنة

فر من السجن العسكري بمساعدة رفاقه، وذهب إلى لبنان لقيم في خمس سنوات لاجئا سياسيا وفي لبنان عمل في تدريس الرياضيات واللغة الإنجليزية كما أشرف على الصفحة الأدبية في صحيفة الجمهورية السعيدة وعلى عمود سياسي في جريدة الحزب التقدمي الاشتراكي بسبب خلافات لبنانية داخلية وجد ابن الشاطئ رحمه الله نفسه عرضة للترحيل، فلجأ إلى سوريا، ومنها إلى مصر حيث التحق بجامعة عين شمسي بالقاهرة ليدرس اللغة العربية وآبها على يد ثلة من أبرز وأشهر الأساتذة والعصر الحديث ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الدكتور عز الدين إسماعيل والدكتور طه حسين، عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ). عاد شاعرنا الكبير إلى سوريا وفيها تزوج وفيها أيضا رزق بأول أبنائه وطبع أول ديوان شعري له، وهو ديوان "خفقات قلب".

كان لوجود الشاعر في نهاية الخمسينيات وبداية الستينات أثر كبير عليه وعلى شعره فبيروت الجميلة عرفته على أكبر وأشهر شعراء عصره فمن الأخطل الصغير إلى بدوي الجيل إلى أمين نخلة إلى الجواهري وأحمد الصافي التجفي إلى نزار قباني إلى أدونيس وسعيد عقل ونديم محمد والقائمة طويلة، أما في سوريا، فكانت تلك الحقبة زمنية لأنها الحقبة التي انفتحت فيها للشعر أبواب الإعلام والشهرة، كما أسس أول رابطة أدبية في سوريا "رابطة أدباء الساحل" عام 1966م وكان عضو مؤسس لاتحاد كتاب العرب في سوريا

إلتحق ابن الشاطئ رحمه الله بصفوف الثورة الفلسطينية منذ اندلاعها في جانفي 1965 م وأنيبطت به العديد من المسؤوليات الأمنية والعسكرية والإعلامية والسياسية مما جعله عرضة للعديد من الإعتقالات ومحاولات الاغتيال .

نال شاعرنا الكبير ابن الشاطئ شرف تمثيل الأردن وفلسطين في مهرجان تتويج الأخطل أمير للشعراء عام 1962م، كما شارك في تأبينية الأديب المهجري جبران خليل جبران والناقد اللبناني الكبير رئيف خوري وفي تأبينية الأخطل الصغير، نالت قصيدته استحسان الجميع واعتبر من أحسن ما قرأ بالمناسبة وفي بغداد عام 1969م شارك في مهرجان ألفية أبي تمام إضافة إلى مهرجانات المربد كمن النسخة الأولى وحتى مربد عام 2000م ومهرجان بابل لعدة دورات مثل فلسطين في مؤتمر الصحفيين العرب في بغداد عام 1978 م وفي مؤتمر الأدباء العالميين في مدريد عام 1982م ومؤامر أدباء عبر المتوسط في بروكسل وشارك في مهرجانات نيسان في سوريا لسنوات عديدة وباعتباره عضو في الأدباء العرب شارك ابن الشاطئ في العديد من مؤتمرات اتحاد الأدباء العرب في دمشق وبيروت وبغداد والقاهرة والجزائر وتونس والمغرب.

وفي عام 1970م وبعد أحداث أيلولو الأسود في الأردن غادر ابن الشاطئ المشرق العربي ليحط الرحال في أرض المليون ونصف المليون شهيد وفي الجزائر إنفتحت جمع الأبواب في وجه ابن الشاطئ الشاعر والأديب الصحفي والمناضل فعمل في أهم وسائل الاعلام الجزائرية من تلفزيون وإذاعة وصحافة مكتوبة ويعود له الفضل في تأسيس إحدى أهم الصفحات الأدبية في الجزائر وهي صفحة "مرايا أدبية" وفي مجلة المجاهد الأسبوعية والتي كانت بحق مدرسة تخرج منها العديد منها العشرات من الأدباء وشعراء الجزائر. ربطت ابن الشاعر رحمه الله علاقات وثيقة بالعديد من كبار أدباء الجزائر وعلى رأسهم شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء والذي لقبه شاعر الثورة الفلسطينية وعندما غادر مفدي زكرياء

الجزائر بقيت المراسلات بينهما حتى توفي رحمه الله عام 1977م كما كانت علاقاته بالشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي وطيدة إلى حد كبير من خلال السائح تعرف ابن الشاطئ إلى العديد من الفنانين الجزائريين فغنى له في العديد من القصائد أشهرها "اسقيني خمر شبابي" والتي غنتها المطربة الكبيرة سلوى .

عمل ابن الشاطئ في التدريس أيضا وعدة ولايات جزائرية فمن وهران ومعسكر في الغرب إلى الجزائر العاصمة /تيزي وزو والمدية في الوسط، إلى جيجل في الشرق تخرج على يده آلاف الطلبة في شتى الاختصاصات وفي الجزائر انتخب رئيسا لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينين أيضا في المغرب العربي لثلاث دورات كاملة وكان عضو الأمانة العامة في اتحاد كتاب الأفروآسيويين وعضو في اتحاد الأدباء العالميين.

نال شرف عضوية العديد من الاتحادات العربية: اتحاد الكتاب الجزائريين واتحاد الكتاب العرب في سوريا، واتحاد أدباء العراق، رابطة الأدباء الأردنيين، إضافة لاتحاد الكتاب فلسطينيين.

شارك في جميع ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر ومعظم المهرجانات والملتقيات الوطنية والعربية والدولية التي نظمت فيها كتب منها العديد من الدراسات والوسائل الأكاديمية وذكر في أكبر معاجم الشعراء العرب كمعجم البابطين ومعجم شعراء فلسطين ومعجم الأدباء العرب البدوي الملثم وغيرها

يعتبر ابن الشاطئ أغزر شعراء العرب انتاجا على الإطلاق فلقد كتب رحمه الله عشرات الآلاف من الأبيات الشعرية وهذا الرقم لم نسمع به لا في الماضي ولا في الحاضر وكونت هذه الأبيات 69 ديوان طبع منه 11 ديوان نذكر منها:

_خفقات قلب : مطبعة الشرق(حلب) سورية 1964م

_ غاليتي لا تجيد الرقص: منشورات وزارة الثقافة العراقية بغداد 1983م.

_ الحدائق المعلقة والزمن البديل: منشورات وزارة الثقافة العراقية بغداد 1990م.

_الزمن الفلسطيني يتجدد في البعد الثالث: دار الكتاب/بيروت1978م.

_ ام أوفى تتجدد رغم الليل الطويل :منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية/ الجزائر2007م.

_ أبجدية المنفى والبندقية : منشورات رابطة الابداع/ الجزائر2004.

_ وفي مكتبة الشاعر 58 ديوانا مخطوطا لم يرى النور بعد إضافة إلى العديد من الأعمال النثرية والدراسات الأدبية والسياسية والكتب المدرسية والجامعية وكتاب لقواعد اللغة العربية ويقع في ثلاث أجزاء.

توفي ابن الشاطئ يوم عودته من سوريا إلى جيجل ليلة 29/30أفريل من عام 2008 ووري الثرى في مقبرة ليكيتي بعد الظهر الفاتح من ماي 2008 م

رحم الله الشاعر الإنسان ابن الشاطئ وجعله من السابقين المقربين في عليين آميين.

قصيدة لك الخلد

غرِّدْ على وتري وعودي يا ساكِناً مقل الخلودِ
غرِّدْ..!! فهذا القلب أَوْ.. ...رَقَ في شرايين الوجودِ
وتوشَّح الذِّكرى الجمي لَةَ.. وانتشى عند الصُّعودِ
وتعَشَّقَ الإبحار في عينيكَ يا عبق الجريدِ
غرِّدْ فديتُكَ واكتحِلْ ب(الميجَنا) في كلِّ عيدِ
فسمار وجهكَ يا حبي بي فار من شمس الحصيدِ
وعيونُكَ العطشى ليا... ...فا مشَّطَتْ شَعر البريدِ
واسترسَلَتْ في بوحها وتنهَّدَتْ.. فصَحَتْ نجودي
...يا قامة الأقصى تَوَسْ سَدْ أضلعي واسكنْ وريدي
واركبْ عَنانَ المجد يا عمري.. ويا بيت القصيدِ
فسماء غزَّةَ يا أبي قد أحرقَتْ جيش اليهودِ
وامْتَدَّ أخمصها وقَب ْبَلَ سيف (هارون الرَّشيدِ)
فتحطَّمَتْ سفن الحصا... ...رِ على أزاميلِ الصُّمودِ
(نوفمبرٌ) أوحى لها فاخضرَّ مشوار الشهيدِ
وتوشَّح الأقصى.. وصف ْفَى كلَّ شيطانٍ مَريدِ
يا قامة الأقصى منَ ال أوراس قد سطعَتْ رعودي
هذي الجزائر يا حبيبي أنجزَتْ كلَّ الوعودِ
وقفَتْ لتطبع قُبْلَةً حَرَّى على أنقى خدودِ
وقَفَتْ لتبقى في ضمي رِ الكون عنوان الخلودِ
وتقولَ للدنيا بأن ْنَكَ بسمةُ النصر الأكيدِ

الملخص

ملخص البحث:

يعد الرثاء فن من فنون الشعر العربي المعروفة قبل الإسلام، فهو وسيلة يعبر بها المرء عن خلجات نفسه عندما يمر بتجربة مؤلمة تفقده أحد ذويه وهو موضوع دراستنا في موضوع لك الخلد مستعينين في ذلك بالمنهج التاريخي والنفسي

أما عن الخطة قد اقتضت مقدمة وفصلين وخاتمة يليهما ملحق متناولين في الفصل الأول تعريف الرثاء لغة واصطلاحا ومراتبه إلى جانب أنواعه، متبوعا بالفصل الثاني عمدنا فيه إلى دراسة مختلف الحقول الدلالية الموجودة في الديوان وعاطفة الشاعر التي عبر فيها عن لوعة الفقد وأخيرا كيف جاء الرثاء بصيغة المدح.

وختمنا بحثنا بخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج المتحصل عليها .

Résumé:

L'apitoiement l'art de la poésie arabe arts connue avant l'Islam est une façon reflète la personne elle-même des situations où passer par l'expérience douloureuse d'inspecter un de sa famille, fait l'objet de l'étude sur le sujet de la taupe vous appuyant sur l'approche historique et psychologique

Le plan peut exiger une introduction et deux chapitres et une conclusion et l'extension dont nous avons parlé dans la première définition du chapitre de l'apitoiement sur soi et idiomatiques ses rangs la langue ainsi que les types, puis le deuxième chapitre, nous touché aux différents champs Tag dans Diwan et étude de poète de la passion qu'il exprime la perte et enfin comment apitoiement est venu sous forme de louange.

Et la fin de notre conclusion de la recherche, nous avons repéré les résultats les plus importants obtenus

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: سورة البقرة.
1_ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجبل، ط5، 1401هـ، 1981م
2_ أحمد مختار عمر : علم الدلالة، دار العروبة، أنقرة ،ط1، 1982
3_ البكاي أخضاري: قصيدة قادة بعينك للخنساء، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 22
4_ الجوهري: قاموس الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ،
5_ الحسن ابن عبد الدين ابن سهل العسكري :كتاب الصناعتين، تح/علي محمد البجاوي ومحد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (دط).
6_ الخليل ابن أحمد الفراهيدي :معجم العين، ج2،تح/عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ط1، 2003
7_ الخنساء بنت تماضر : الديوان، تح عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 2000،
8_ المقري محمد عبد الغني حسن التلمساني :نفح الطيب من غض الأندلس الرطيب بيروت، دار صادر، 1998
9_ بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (دط)،1987
10_ جمال الدين أبي الفضل محمد ابن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، مجلد3، دار صادر ،بيروت ،لبنان ،ط1، 1997
11_ جمال الدين بن ثغرى بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج5 ط4، 1987م، مادة الندب
12_ جميل حمداوي السيميو طبقا والعنوان، مجلة الفكر، مجلد 25 عدد 23، الكويت، مارس 1997.
13_ حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق عبد الرحمان البرقوقي، ط1، القاهرة، دار الأندلس 1980
14_ شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ،دار المعارف، مصر، 1961
15_ شوقي ضيف : فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، الرثاء، دار المعارف، ط4، 1979

16_ عبدالمجيد: الأصول الفنية للأدب مكتبة الأنجلو، مصر .1964
17_ عدي شتات: لك الخلد، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ، 2015م
18_ عيسى إبراهيم السعدي :جماليات الشعر العربي على مر العصور، دار المعتز، عمان، الأردن، ط1، .2006
19_ عيسى إبراهيم السعدي: نظرية أبي عثمان ابن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار المعتز، عمان، الأردن ،ط2010،1
20_ غازي طليمات: الأدب الجاهلي ،دار الفكر، بيروت، لبنان، 2002
21_ قدامة ابن جعفر: نقد الشعر ،مطبعة الجوانب ،قسنطينة، 1302هـ
22_ كعب بن مالك، الديوان، تحقيق سامي مكي العاني، ط2، بغداد، المعارف .1945
23_ مجموعة من الباحثين: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004
24_ محد بن احمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1.
25_ محمد إبراهيم نصر، من عيون المراثي، ط1، دار الرشيد
26_ محمد ابن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي ،بيروت، لبنان، ط1، 1979
27_ محمد ابن سلام الجمحي :طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية،(دط)،2012
28_ محمد بن أحمد بن إياس الحنيفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور
29_ محمد علي التهانوني: كشاف اصطلاحات الفنون ،تح، لطفي عبد البديع، مطبعة السعادة.
30_ محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب، اتحاد كتب العرب، دمشق، (دط)،2000
31_ يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي وخصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، ط8، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

الفهرس

الفهرس

فصل نظري

مقدمة **أ_ب**

1_ مفهوم الرثاء **09**

1_1 تعريف الرثاء لغة **09**

1_2 تعريف الرثاء إصطلاحا **10**

2_ مراتب الرثاء **12**

2_1 الندب **12**

2_2 التأبين **14**

2_3 العزاء **15**

3 أنواع الرثاء **16**

3_1 رثاء الأهل والأقارب **16**

3_2 رثاء الشعراء أنفسهم **19**

3_3 رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم **20**

3_4 رثاء السلاطين والوزراء والأمراء **21**

3_5 رثاء المدن **24**

الفصل الثاني: الفصل التطبيقي **27**

توطئة **28**

1_ قراءة في العنوان **28**

2_ الحقول الدلالية **29**

2_1 حقل الحزن والألم **30**

2_2 حقل الشوق والحنين **33**

2_3 حقل المكان **34**

2_4 حقل الزمان **37**

3_ العاطفة **39**

4_ لوعة الفقد 41
5_ الرثاء بصيغة المدح 48
6_ صفات المرثي 50
خاتمة 56
ملحق 58
ملخص 63
قائمة المصادر والمراجع 66
الفهرس 68